ظاهرة سيئة

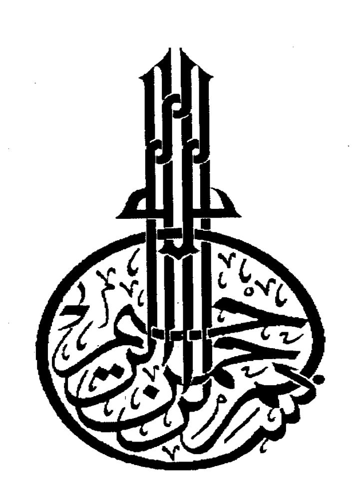
ووسائل علاجها

كتبه
د. علاء بكر
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الناشر
الدار السلفية للنشر والتوزيع
إسكندرية

رقم الإيداع: ٩٨٩٥/ ٢٠٠٧

الدار السلفية للنشر والتوزيع
٠١٢٣٤٩٠٥٨٩
الأسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم

* قال تعالى : ﴿ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩]

* عن ثوبان مرفوعًا : « لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًاء فَيَجْعَلُهَا اللهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا » ، قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ ، قَالَ ﷺ : « أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا »[1] .

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٢٤٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٠٢٨) .

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه .

أما بعد :

فإن الشباب هم عماد الأمم ، هم حاضرها ومستقبلها ، لذا تولي الأمم كلها شبابها كل العناية ، وترعاهم كل الرعاية ، وتحوطهم بما يصلحهم وينفعهم .

وشباب الصحوة الإسلامية هم أعز ما تملك بلادنا ، فعليهم تعقد الآمال ، وإليهم تتجه الأبصار ، خاصةً وأن فيهم نماذج طيبة ، حريصة على العلم النافع والعمل الصالح ، ولا يضيعون أوقاتهم في سفاسف الأمور وتوافه الأشياء ، وإنما يميلون إلى العبادة والطاعة لله تعالى ، واستثمار الوقت فيما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة ، يفعلون ذلك بحب وشفقة ولله الحمد ، وهم على ذلك فيهم سلبيات وأخطاء ، تحتاج لتوجيه وإرشاد ، لا إلى تنفير منهم أو تثبيط لهممهم ، وهم على ذلك لهم هموم ومشاكل ، ويلاقون عقبات وعوائق ، يحتاجون إلى من يمد لهم يد العون والمساعدة على علاجها وحلها وإزالتها ورفعها ، وهذا هو دور الدعاة وواجبهم حتى تنمو هذه النبتة الصالحة من شباب صحوتنا الإسلامية المباركة النمو المطلوب وتثمر ثمارها المرجوة (كزرع) أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار .

ومن مشاكل هذا الشباب التي تنبه لها المربون ظاهرة انتشار العادة السرية بين شباب المدارس والجامعات ، وما يترتب عليها من آثار على تدين الشاب المسلم والتزامه ، حيث كثرت أسئلة الشباب حولها وكيفية علاجها والتخلص منها بصورة تدل على مدى معاناة هذا الشباب من هذه العادة القبيحة السيئة .

ولقد كنا نسمع عن هذه الظاهرة منذ نحو ربع قرن ونحن من الشباب الصغار وقتها ولكن لم نكن نلتفت إليها ، ونرى من المرؤة ألا نخوض فيها ، ونتحدث حولها ، فضلًا عن ممارستها ، إذ هي عند كل عاقل من الأعمال الدنيئة المستقبحة ، أما اليوم وقد استفحلت بل صارت عائقًا عن الالتزام الجاد لبعض الشباب فلا أرى غضاضة في التصدي لها وتوجيه شبابنا إلى ما فيه علاجها والقضاء عليها رحمة بهم وإشفاقًا عليهم وحبًا لهم وحرصًا على صحة دينهم وأبدانهم .

*** ويؤيد ذلك أمورًا منها :**

١- قلق الآباء والأمهات والمربين للشباب بل والشباب الممارس لها أنفسهم من هذه الظاهرة .. إذ صارت تقوض عزائمهم في مواجهة الشهوات ، وصارت عونًا للشيطان عليهم كلما فشلوا في التخلص منها .

٢- أن منهج الإسلام في التربية الجنسية لا ينافي ذلك ، إذ أن للإسلام منهجه المتميز في تربية النشأ من الصغر على معرفة الحقائق التي يحتاجون إليها في حياتهم العملية بصورة مهذبة لائقة لا تجرح المشاعر ولا تثير الغرائز ، فأحكام الطهارة وقضاء الحاجة والغسل الشرعي وإزالة الجنابة والتطهر من الحيض وغيرها كلها تعطي المعرفة الجنسية المطلوبة ، وتُقدم للشاب والشابة في المنهج الإسلامي التربوي الصحيح وهو على مشارف البلوغ ، بل قبل ذلك حين يعلم الوضوء والطهارة وإزالة النجاسات

لأجل الصلاة وارتياد المساجد وقراءة القرآن وذكر الله ﷻ.

٣- إن التعرض لهذه الظاهرة بتعريف حكمها وحرمتها والأحكام الفقهية المترتبة عليها كوجوب الغسل من الجنابة وبطلان الصوم بأداء الصائم لها نهارًا.. إلخ، كلها تدخل في إطار التعليم النافع الذي لا يخرج عن دائرة العبادة والطاعة لله تعالى إن شاء الله تعالى.

٤- إن كتب علماء الدين المتقدمين تضمنت التعرض لهذه الظاهرة، فكتب علماء التفسير وأئمة الفقه وشراح الأحاديث ذكرت حكم الاستمناء باليد ونقلت أراء العلماء فيها، وإنما لم تفرد لها التصانيف في أيامهم لأنها لم تكن ظاهرة مقلقة إذ لا يمكن أن تكون ظاهرة مقلقة أبدًا في مجتمع تعلوه أحكام الإسلام وتلتزم وسائله الإعلامية والتربوية بمنهج الإسلام في التربية للنشئ، وإنما استفحلت وصارت ظاهرة مقلقة في مجتمعنا لما بعد هذا المجتمع ككل عن الإسلام، وانتشرت وسائل الإثارة للشباب وتفاقمت الفتنة بالنساء إلى درجة ما كان يتصور أحد منذ قرن واحد من الزمان أن تصل مجتمعات المسلمين إلى هذه الدرجة من تعري النساء وتبرجهم وتعاظم قدر الغناء والموسيقى إلى هذا الحد، وانصراف وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة إلى مخاطبة الغرائز وتهييجها في الوقت الذي لا يجد فيه الشباب القدرة على الزواج بسبب المصاعب الاقتصادية وانتشار البطالة وأزمة المساكن ... إلخ.

إن من حقنا أن نغير على شبابنا المسلم ونسعى إلى تخليصه مما يعكر صفو إيمانه والتزامه [1]، بل هو واجب علينا ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، فإن المهام التي تنتظر

---

(١) فهذه غيرة محمودة مطلوبة، ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يغار، =

شبابنا كثيرة ، والآمال التي ترجى منه كبيرة ، تحتاج أن يجعل وقته كله وجهده كله وصحته كلها في الارتقاء بنفسه ومجتمعه إلى الغاية التي نصبو إليها جميعًا ، وبكمال الالتزام تصل الأبدان والعقول إلى أقصى غايتها في القدرة على العمل والإنتاج والعطاء والبذل فتصير النفوس خيرة في نفسها ، ويتعدى خيرها لمن حولها .

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ إن كان في القلب إسلام وإيمان

والله الهادي لسواء السبيل .

***

وغيرةُ الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه » . متفق عليه ، ويقول الشاعر :

محبتي فيك تأبى عن مسامحتي بأن أراك على شيء من الزلل

التعريف بالاستمناء

الاستمناء : هو استنزال المني بأمر غير الجماع ، جاء في لسان العرب لابن منظور : استمنى أي استدعى خروج المني [١] .

فالاستمناء (إخراج المني في اليقظة بغير جماع بأي وسيلة كانت) [٢] ، والغالب أن يكون باليد ، لذا يسمى نكاح اليد ، ومن أسمائه عند العرب : الخضخضة ، وجلد عُمَيْرة ، إذ أن العرب يكنون عن ذكر الرجل بـ (عُمَيْرة) [٣] على صيغة التصغير ، ويسمى الاستمناء باسم (العادة السرية) لأن فاعلها اعتاد هذا الاستمناء ويقوم به سرًا وخفية وإذا خلا بنفسه وتواردت على مخيلته الصور والمناظر المحرمة .

وهي عادة محرمة شرعًا رغم انتشارها بين الشباب ، ولها أضرارها الدينية والبدنية والنفسية على الممارس لها .

وحرمة الاستمناء مذهب جماهير العلماء ، وسنذكر أدلتهم على ذلك ، وقد نص العديد من علماء الأمة على حرمته كالإمام البغوي والقاضي أبو بكر بن العربي وابن دقيق العيد وابن الملقن وابن الهمام والقرطبي وابن كثير وغيرهم كثير .

---

(١) لسان العرب جـ ١٣ / صـ ٢٠٣ ط . دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان ط . الثانية بتصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي .

(٢) المدخل السهل فيما يتعلق بموجبات الغسل ، تأليف : أحمد بن حسن المعلم .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره جـ ١٢ / ١١٣ ط . دار الحديث ، وفي القاموس (ص ٥٧٢) مادة عمر : (وأبو عمير : كنية الذكر ، وجلد عميرة : كناية عن الاستمناء باليد) ، وفي لسان العرب : (وأبو عُمَيْر : كنية الفرج) جـ ٩ / ٣٩٧ ، وأفاد الزبيدي في التاج : أن عميرة مستعار للكف ، وذكر تعقب التاج ابن مكتوم لشيخه أبي حيان في البحر المحيط عند قوله « يكنون عن الذكر بعميرة » ، فقال في « الدر اللقيط » : بأن عميرة علم على الكف لا الذكر .

وممن نقل عنه كراهته من السلف الصالح ابن عمر رضي الله عنهما وابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وأنس بن مالك وسعيد بن جبير .

***

أهمية المني للحياة البشرية

المني مادة حيوية في جسم الإنسان ، وهو نعمة من الله ، قال تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الواقعة : ٥٨ - ٥٩] ، فذكره الله ﷻ في موطن تعديد نعمه على عباده ممتنًا عليهم بها .

وطريقة القرآن أن الله تعالى يمتن علي عباده بنعمه التي فيها منافع دنيوية كبيرة ، لبيان رحمته ﷻ وفضله على عباده ، ولتكون أيضًا إشارة إلى قدرة الخالق جل وعلا بالتأمل في عظمة الخلق لهذه النعمة بهذه الكيفية [1] .

وقد ورد ذكر المني (ماء الرجل) في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، فوصفه القرآن بأنه دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ، وأنه يوضع في قرار مكين ، وأنه منه تكون النطفة فالعلقة فالمضغة فالعظام التي تكسى لحمًا فتكون خلقًا سويًا في بطن الأم ، ومن المني جعل الله الزوجين الذكر والأنثى ، وعلى هذا فالمني من أفضل أجزاء الإنسان المنفصلة عنه ومن أشرف فضلاته ، فمنها نسله ، ومنهم عباد الله من المؤمنين الموحدين الصالحين .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ [المرسلات : ٢٠ - ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾

(١) أما قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المرسلات : ٢٠ـ٢١] ، فليس المراد تحقير المني ولكن بيان ضعفه ثم منه يخرج البشر السوي ففيه تنبيه على عظمة قدرة الله في خلقه ، ومثله قوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٧-٩] .

[الطارق : ٥-٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] ، وقال تعالى : ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ [عبس : ١٧ - ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ﴾ [النجم : ٤٣-٤٧] .

وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ [القيامة : ٣٦ - ٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ [الحج : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٢ - ١٤] .

* ومن المني يكون نسل الرجل وذريته ، من الصبيان والبنات :

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ [النجم : ٤٦] ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ [القيامة : ٣٧ - ٣٩] ، وقال تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ

الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٤٩-٥٠] .

ولذا يقول الشاعر :

احفظ منيك ما استطعت فإنه ماء الحياة يصب في الأرحام

والمني يخرجه الرجل على وجه الاستمتاع واللذة في الجماع ، فيكون معه انكسار شهوته مهما بلغت ، وهذه اللذة التي يشعر بها الإنسان تعم جميع أجزاء بدنه ، لذا يعقبها استرخاء عصبي [١] وراحة نفسية كبيرة ، ولهذا كان من نعيم أهل الجنة الاستمتاع بحور العين من نساء الجنة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ [يس : ٥٥ - ٥٦] .

وفي الحديث النبوي المرفوع : « إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا » [٢] .

وفي الحديث المرفوع : « يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا مِنْ الْجِمَاعِ » قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ يُطِيقُ ذَلِكَ ، قَالَ : « يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ » [٣] .

وقال أبو هريرة ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَصِلُ إِلَى نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ ، فقال : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مائةِ عَذْرَاء » [٤] .

---

(١) ولهذا كان الغسل بعدها لتنشيط البدن بعد الفتور والاسترخاء .

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٣) ، ومسلم (٢٨٣٨) ، والدارمي (٢٧١١) ، وأحمد (١٩٠٧٩) ، وانظر تحفة العروس : صـ٣٣٩ .

(٣) رواه الترمذي (٢٥٣٦) ، وقال الألباني : حسن صحيح في جامع الترمذي (٢٥٣٦) .

(٤) رواه الطبراني في المعجم الصغير (٧٩٥) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٦٧) ، وانظر =

وعن لَقِيطِ العُقَيْلِي قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَلَنَا بِهَا أَزْوَاج وَفِيهِنَ الصَالِحَاتُ ، قَالَ : « الصَالِحَاتُ لِلصَالِحِيْنَ تَلَذُونَهُنَ مِنْ لَذَاذَتِكُمْ فِي الدُنْيَا وَيَلَذُونَكُمْ غَيْرَ أَنْ لا تَوَالُد » [١] .

وعن أبي هريرة : عن رسول الله ﷺ أَنَه قِيلَ لَهُ : أَنَطَأُ فِي الجَنَّةِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ دَحْمًا دَحْمًا [٢] فَإِذَا قَامَ عَنْهَا رَجَعَتْ مُطَهَرَةً بِكْرًا » [٣] .

وقال ﷺ : « إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ إِذَا جَامَعُوا نِسَاءَهُمْ عَادُوا أَبْكَارًا » [٤] .

وَسُئِلَ ﷺ هَلْ يَتَنَاكَحُ أَهلُ الجَنَةِ ؟ قَالَ : « نَعَم بِذِكْرٍ لا يُمَلُ وَشَهْوَةٍ لا تَنْقَطِعُ دَحْمًا دَحْمًا » [٥] .

وسُئِلَ ﷺ أَيُجَامِعُ أَهلُ الجَنَّةِ ؟ قَالَ : « دَحَامًا دَحَامًا وَلَكِنْ لا مَنِي وَلا مَنِيَّة » [٦] .

فتأمل : كيف أن المسلم الذي حرص في الدنيا على حفظ فرجه ولم يضع منيه إلا في الحلال الطيب يكون ثوابه في الجنة أن يزاد له في منيه ويهيئ له أجمل أجمل النساء .

***

تحفة العروس : صـ ٣٤٠ .

(١) ذكره الألباني في ظلال الجنة (٦٣٦) وقال : إسناده ضعيف ، وانظر تحفة العروس : صـ ٣٤٠ .

(٢) الدحم : الجماع بدفع شديد ، والتكرار للتأكيد .

(٣) رواه ابن حبان (٧٤٠٢) ، وقال شعيب الأرنؤوطي : إسناده حسن ، وانظر تحفة العروس : صـ ٣٤٠ .

(٤) رواه الطبراني في المعجم الصغير (٢٤٩) ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٨٣٠) ، وانظر تحفة العروس : صـ ٣٤٠ .

(٥) رواه الطبراني ، وانظر تحفة العروس : صـ ٣٤٠ .

(٦) رواه الطبراني ، وانظر تحفة العروس : صـ ٣٤٠ .

مكونات السائل المنوي

في الحالات العادية فإن الرجل يقذف عند الجماع دفعات متتالية من المني يصل حجمها من [٢-٥] مللي ليتر ، والمني سائل أبيض ، قاعدي ، يحتفظ بحالته السائلة من [١٠-٢٠] دقيقة ، وتصل أعداد الحيوانات المنوية في المللي ليتر المكعب الواحد من المني إلى عشرات الملايين من الحيوانات المنوية ، والأطباء يعدون المني الذي تكون فيه أعداد الحيوانات المنوية عدة ملايين قليلة يحتاج صاحبه لعلاج لتحسين قدرته على الإنجاب [1] !!! وإذا دققنا النظر في قطرة صغيرة من هذا المني وباستعمال ميكروسكوب مكبر (مجهر) نرى الملايين من هذه الحيوانات تسبح في بحر متلاطم مستعملة حركة ذيلها الطويل لتسير في خط مستقيم متعرضة لمخاطر وعقبات في طريق طويل جدًا بالمقارنة بحجم الحيوان المنوي الواحد وطوله .

لذا فإن هذه الملايين الكثيرة يموت أغلبها في رحلته الشاقة عبر رحم المرأة قبل أن يصل إلى البويضة المراد تخصيبها في جدار رحم المرأة ، وفي النهاية تصل عدة مئات قليلة إلى البويضة لتخصيبها مكونة بيضة مخصبة تكون البداية للجنين المنتظر .

وكل حيوان منوي من هذه الملايين يحمل الجينات الناقلة لخصائص صاحبه بكل مميزاته الخاصة به ، والتي يختلف فيها عن غيره لتنقل إلى ذريته من بعده .

والحيوان المنوي يقاس بالميكرون ، والميكرون واحد على مليون من المليمتر ،

---

(١) وللأسف فإن المسرف في الاستمناء باليد ويجعله عادته التي يتلذذ بها قبل الزواج في مقدمة من يحتاجون لعلاج لتحسين قدرته على الإنجاب بعد الزواج ، وربما تردد للعلاج على عيادات الأطباء طويلًا فينغص فرحته بالزواج بقدر ما تلذذ بالاستمناء باليد قبل الزواج ، والجزاء من جنس العمل .

وله رأس مدبب عليه ما يشبه القلنسوة المصفحة ، وله عنق ، وذيل طويل ، يمتاز بسرعة الحركة ، والحركة الدائبة ، لا يعرف الاستقرار والتوقف إلا بالوصول إلى البويضة وتلقيحها أو الموت وهو في طريقه إليها ، رأس الحيوان المنوي بيضوية ، أبعادها : حوالي ٥ ميكرون في الطول و٣ ميكرون في العرض ، أما الذيل فيصل طوله إلى حوالي ٥٥ ميكرون .

وتتم عملية التصنيع للحيوان المنوي في الخصية المحفوظة في كيس جلدي خارج البطن ـ الصفن ـ حرارته لا تتجاوز ٣٦ درجة مئوية ، حيث أن الخصيتين لا تتحمل العمل في حرارة الجسم العادية ، وتتضرر غاية الضرر بارتفاع الحرارة فيها بمرض أو غيره .

عقب الإنتاج للحيوان المنوي يحتاج إلى قرابة أسبوعين كاملين يستكمل فيها نموه أثناء انتقاله داخل أنابيب طويلة يعبرها حتى يصل إلى مكان تخزينه لحين الخروج إلى خارج الجسم [1] .

وتحت الميكروسكوب : نجد أن الحيوانات المنوية السليمة تتحرك في حركة سريعة للأمام ، وفي الشخص العادي لا تقل أعداد الحيوانات المنوية النشطة عن ٦٠٪ من مجموع الحيوانات المنوية إذا فحص المني بعد ثلاث ساعات من القذف ، أي أن هذا العدد الكبير حافظ على حيويته ونشاطه وحركته الدائبة خلال هذه الساعات الثلاث

---

(١) ذكرت الأبحاث الطبية أن اعتياد تدخين عشرين سيجارة يوميًا تزيد نسبة الحيوانات المنوية الميتة في السائل المنوي ، وتقلل من حركة ونشاط الحيوانات المنوية الحية ، كما أن الإكثار من الجماع والإفراط فيه للمتزوجين يسبب إخراج الحيوانات المنوية الغير مكتملة النمو والتي لا قدرة لها على القيام بالدور الهام المنوط بها ، أما الإسراف في العادة السرية في مراحل الشباب الأولى فيرهق الأعضاء الجنسية ذاتها ويوقع في سرعة القذف بعد الزواج فيقلل من متعة الجماع للزوجين معًا .

وسيستمر كذلك بعدها متحركًا بنشاط وحيوية .

أما ٤٠٪ (النسبة الباقية) فتكون ميتة بلا حركة لكونها لم تتحمل هذا الجهد الكبير ، وبالفحص الميكروسكوبي نجد أن هناك في الشخص العادي نسبة قليلة من مجموع أعداد الحيوانات المنوية لها أشكال غير عادية ، أي غير كاملة النمو ، ولا يمكنها الحركة للأمام كالحيوان المنوي الكامل .

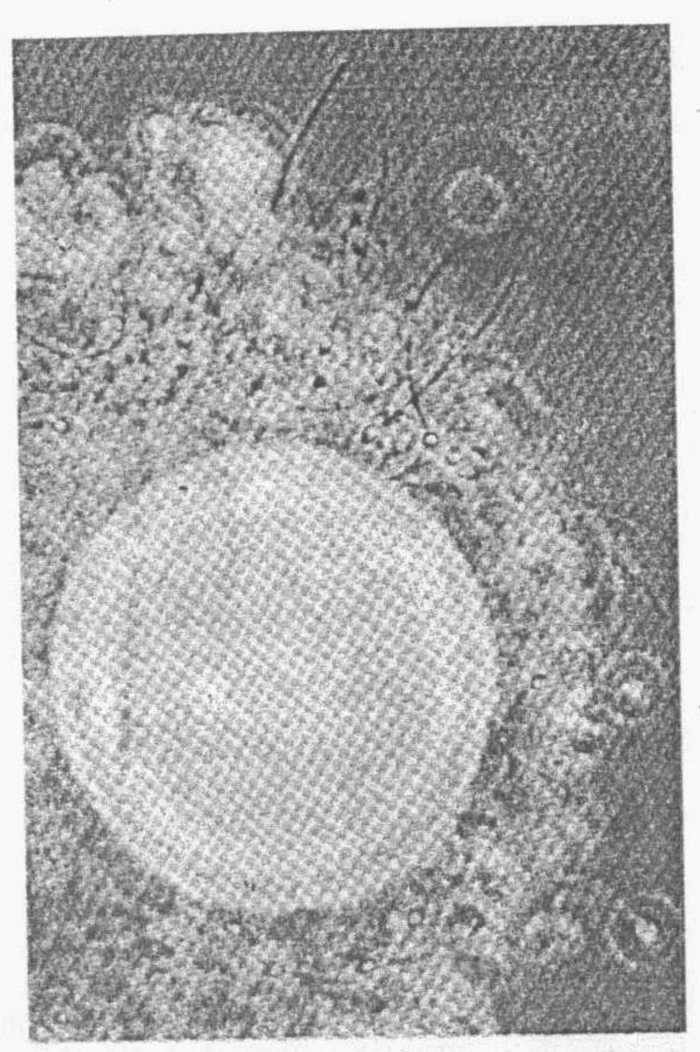
أما السائل المنوي فأكثره إفرازات من غدد تناسلية بجسم الرجل أهمها وأشهرها البروستاتا ، ويحتوي هذا السائل على مواد كيميائية عديدة لها دورها الكبير في تسهيل حركة المني ، وتذليل العقبات التي يتعرض لها ، إلى جانب تغذية الحيوانات المنوية السابحة فيه .

فمن هذه الإفرازات ما يقوم بمعادلة حموضية مجرى البول قبل قذف المني ، وعمل تليين لجدار مجرى البول ، ومنها إفراز يميل للحامضية يحتوى على مواد كيميائية عديدة ومعادن وإنزيمات خاصة ، ومنها ما يميل إلى القاعدية بغرض حماية الحيوانات المنوية من حموضية إفرازات المهبل ، مع احتوائه على مواد غذائية للحيوانات المنوية كسكر الفركتوز وغيره ، وبهذه الإفرازات مواد تساعد على حدوث انقباضات للعضلات المبطنة لمجرى البول تساعد على حدوث القذف للمني على دفعات متتالية ، ومنها ما يساعد على إرخاء عضلة عنق الرحم لتسهيل مرور الحيوانات المنوية منها ، ومنها ما يساعد على تسهيل اختراق المني لجدار عنق الرحم .

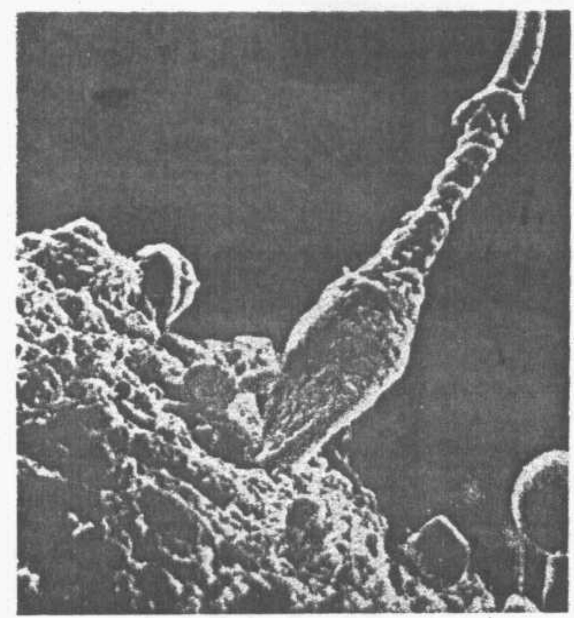
وإفرازات هذه الغدد التناسلية تمثل ٩٥٪ من حجم السائل المنوي ، بينما لا تمثل الحيوانات المنوية بملايينها الكثيرة أكثر من ٥٪ من حجم المني .

وتتحكم هرمونات الذكورة في تصنيع الحيوانات المنوية بالخصية ، وفي المعتاد

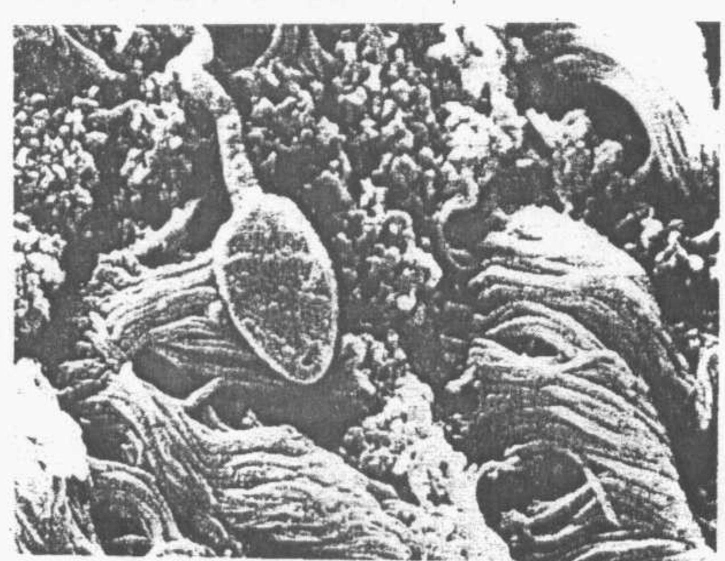
يكون هناك (٦٠-٨٠) مليون حيوان منوي معد في حالة استعداد للخروج مع السائل المنوي عند القذف حال الجماع .



صورة رائعة للبويضة الوقورة الساكنة والحيوانات المنوية تزحف إليها غير عابئة بالمخاطر والمفاوز ولا تسمح هي إلاَّ لواحد منها فقط بالاتحاد بها والولوج إلى داخلها



صورة نادرة لحيوان منوي برأسه المدبب المصفح وهو يقترب من سطح البويضة.



صورة رائعة للحيوانات المنوية وهي تمخر عباب المني المتلاطم هادرة وهي في رحلتها إلى البويضة الساكنة.

***

أهمية غدة البروستاتا في الحياة الجنسية

البروستاتا غدة تناسلية موجودة في مقدمة المثانة البولية ، تحتها مباشرة ، وهي تحيط ببداية مجرى البول ، وحجمها وشكلها في حجم وشكل الجوزة .

والبروستاتا غدة حساسة ، لها تركيب داخلي معقد ، يتكون من ألياف عضلية ملساء ، وغدد متوزعة فيها ، وكذلك نهايات عصبية ، وتخترقها من الداخل قناتان دافقتان للسائل المنوي ، وفوق عنق المثانة البولية ، ومن وسط البروستاتا يبدأ مجرى البول الموصل من المثانة البولية إلى (الذكر) (عضو التبول الخارجي) ، وأسفل البروستاتا عضلات منطقة الحوض الإرادية .

يتضح من ذلك أن للبروستاتا مكانها الهام في الجهازين البولي والتناسلي للرجل .

والبروستاتا تفرز سائل يخرج من قنوات عدة إلى مجرى البول في جزئها البروستاتي ، ومن وظائف هذا السائل مساعدة الحيوانات المنوية على زيادة الحركة والنشاط ، ويوفر لها أسباب حفظها مدة حياتها ، وهذا السائل له دوره في إكساب السائل المنوي لونه الأبيض ورائحته الخاصة الشبيهة برائحة الكستناء .

***

تأثير الاستجابة والتعرض للإثارة الجنسية

لمشاهدة المناظر الجنسية المثيرة المتكررة أثرًا سلبيًا على البروستاتا [1] ، بما تسببه فيها من احتقان ، تؤدي في النهاية إلى التهاب البروستاتا ، وهذه الالتهابات يحتاج علاجها إلى وقت ليس بقصير .

إن المتطلع لما يثيره جنسيًا أشبه بمن يحوم حول (احتقان البروستاتا) ويوشك أن يقع في (التهاب البروستاتا) بمشاكلها العديدة ، وأعراضها الكثيرة ، كالإحساس بحرقان البول ، وكثرة التبول ، وآلام في منطقة الظهر والحوض ، كالألم في الخصيتين ، والألم في المنطقة بين الخصيتين وفتحة الشرج .

وهذه المشاكل أكثر في الشباب في سن المراهقة وكذلك في الرجال ممن ليس لديهم زوجات ، حيث تكثر المؤثرات الجنسية ولا تجد التصريف الطبيعي لها بالمعاشرة مع الزوجات .

ومن شكاوى الشباب التي اعتاد أطباء الأمراض التناسلية والمجاري البولية (المسالك البولية) سماعها منهم ملاحظة خروج إفراز يشبه المني أثناء التبرز أو بعد إنهاء التبول مما يوقعهم في قلق وخوف ، وهذا الإفراز ما هو إلا سائل يخرج من البروستاتا حال احتقانها عقب إنهاء البول ، فخروجه بعد البول يشير إلى احتقان البروستاتا ، وكثرة هذه الشكوى بين (العزاب) وانتشارها بينهم من فرط التعرض

---

(١) ولا يخفى ما يتعرض له الشباب في أيامنا هذه من الإثارة المستمرة في الشوارع والطرقات وأماكن اختلاط الرجال بالنساء وعدم غض البصر عن عورات النساء والفتيات المتبرجات ، هذا إلى جانب مخاطبة الغرائز وتهييجها بوسائل الإعلام المختلفة خاصة من أجهزة التلفاز والمذياع التي لا تخلو منها حياتنا اليومية داخل بيتنا صباحًا ومساءًا وإنا لله وإنا إليه راجعون .

للمؤثرات الجنسية في وقتنا الحالي نتيجة الاستهانة بالنظر المحرم [1] إلى عورات المتبرجات من النساء في الطرقات وأماكن الاختلاط بين الجنسين فضلًا عن سماع الأغاني العاطفية وارتياد شواطئ البحر ... إلخ ، وعدم القدرة المادية على الزواج ، والحل : إما الزواج لمن يقدر عليه ، أو العفة وغض البصر وتجنب الإثارات الجنسية لمن لا يقدر على الزواج .

***

(١) يراجع في ذلك : (جسمك والتليفزيون) تأليف عدنان الطرشة ، و (سري وعاجل للرجال فقط) للدكتور أيمن الحسيني .

حرمة
العادة السرية

إن منافاة الاستمناء باليد للأدب الرفيع والخلق العالي مما لا يشك فيه عاقل ، ولهذا نص جماهير العلماء على تحريمه جيلًا بعد جيل ، ولهم على ذلك أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية .

قال الشوكاني في (بلوغ المنى في حكم الاستمنى) عن الاستمناء باليد : [لاشك أن في هذا العمل هجنة ، وخسة ، وسقوط نفس ، وضياع حشمة ، وضعف همة] (١) .

وقال السيد سابق في (فقه السنة) (٢ / ٤٣٤) : [استمناء الرجل بيده مما يتنافى مع ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من الأدب وحسن الخلق] (٢) .

قال صاحب (المرؤة وخوارمها) : [إنْ فَعَلَه ليكسر حدة شهوته ، وشدة شبقه فحسب فحرام ، فإن كان هذا الفعل لدفع مضرة الزنى أو اللواط التي باتت ـ أو كادت ـ متحققة في حقه ، فهو مباح بعد أن يجرب الصيام (٣) ، ويجاهد نفسه (٤) ويتقي الله ما استطاع (٥)] ا.هـ (٦) .

***

---

(١) ، (٢) ، (٦) : (المرؤة وخوارمها) تصنيف : أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ط . دار ابن عفان للنشر والتوزيع ط . الثالثة : صـ ٩١ .

(٣) ، (٤) ، (٥) : تأمل هذه الشروط قبل القول بالإباحة .

أدلة تحريم الاستمناء باليد

* أولًا : من القرآن الكريم :

١ - قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥ - ٧] .

* ووجه الدلالة من الآية :

أن الله تعالى مدح المؤمنين بحفظهم لفروجهم مما حرم الله تعالى عليهم ، وأخبر أنه لا لوم عليهم في عدم حفظ فروجهم من أزواجهم وإمائهم اللاتي تحت أيديهم ، وجواز إتيانهن ونيل الشهوة منهن بذلك مستثنيًا ذلك من عموم حفظ الفرج الذي مدحهم عليه ، وأتبع ذلك ببيان أن من طلب الشهوة أو لم يحفظ فرجه من غير الزوجات والإماء فهو من المعتدين الظالمين المتجاوزين للحلال إلى الحرام .

فالدلالة في تحريم الآية ما عدا الزوجات والإماء ، فيكون قضاء الشهوة في غيرهما حرام ، والاستمناء بذلك يدخل في عموم هذا النهي [١] .

قال البغوي في تفسيره للآية في قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [أي الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام ، فيه دليل على أن الاستمناء حرام ، وهو قول أكثر العلماء] ا.هـ .

قال القرطبي في تفسيره : [قال محمد بن عبد الحكم : سمعت حَرْملة بن عبد العزيز قال : سألت مالكًا عن الرجل يَجْلِد عُمَيرة فتلا هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ

(١) وأبلغ منه في التحريم قطعًا الزنا واللواط وإتيهان البهائم .

لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ ، وهذا لأنهم يكنون عن الذكر بعُمَيْرة] (١) ، [ويسميه أهل العراق الاستمناء وهو استفعال من المني] (٢) ، [وعامة العلماء على تحريمه ، وقال بعض العلماء : إنه كالفاعل بنفسه ، وهي معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس حتى صارت قِيلة ويا ليتها لم تُقَل ، ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المرؤة يعرض عنها لدناءتها (٢) ، فإن قيل : إنها خير من نكاح الأمَة ، قلنا : نكاح الأمة ولو كانت كافرة على مذهب بعض العلماء خير من هذا ، وإن كان قد قال به قائل أيضًا ، ولكن الاستمناء ضعيف في الدليل عارٌ بالرجل الدنيء فكيف بالرجل الكبير] (٣) .

قال النسفي في تفسيره : [﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾ : طلب قضاء شهوة من غير هذين ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ الكاملون في العدوان ، وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف (٤) لإرادة الشهوة] ا.هـ .

قال الآلوسي في تفسيره للآية مبينًا ما فيها من أحكام : [وكذا اختلف في استمناء الرجل بيده ويسمى الخضخضة وجلد عميرة فجمهور الأئمة على تحريمه وهو عندهم داخل فيما وراء ذلك] ا.هـ .

ونقل مثل ذلك الخازن في تفسيره ، وأبو حيان في تفسيره ، وابن عطية

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط . دار الحديث بالقاهرة المحققة جـ ١٢ / ١١٢ ، ١١٣ .
(٢) وهو ما ذكره أيضًا ابن العربي في أحكام القرآن جـ ٣ / ١٣١٠ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) أي : باليد .

الأندلسي حيث قال : (فيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لإرادة الشهوة) .

قال ابن كثير في تفسيره للآية : [وقد استدل الإمام الشافعي ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ قال : فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾] ا.هـ .

وفي الأم للشافعي : [فلا يحل العمل (بالذكر) إلا في الزوجة أو ملك اليمين ولا يحل الاستمناء ، والله أعلم] ا.هـ .

وفي الأم أيضًا للشافعي تحت (ما جاء في عدد ما يحل من الحرائر والإماء وما تحل به الفروج) : وقوله ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ دليل على أمرين :

أحدهما : أنه أحل النكاح وما ملكت اليمين .

والثاني : يشبه أن يكون إنما أباح الفعل للتلذذ وغيره بالفرج في زوجة أو ما ملكت يمين من الآدميين) ، [فلذلك خفتُ أن يكون الاستمناء حرامًا ، مِنْ قبل أنه ليس من الوجهين الذين أبيحا للفرج] ا.هـ .

وعن سعيد بن جبير قال : عَذَّبَ اللهُ أمةً كانوا يعبثون بمذاكيرهم .

٢- قال الله تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور: ٣٣].

***ووجه الدلالة في الآية :**

أ- أن الله تعالى أمر بالاستعفاف عند عدم القدرة المادية على الزواج ، والاستعفاف ينافيه الاستمناء ، إذ المراد به الصبر على الحرمان من الشهوة والتلذذ حتى

ييسر الله للعبد القدرة المادية على الزواج الذي أحله الله لقضاء الشهوة .

فإن قيل : المستمني يفعل ذلك استعفافًا حتى تتاح له فرصة الزواج ، فالجواب : ليس الاستمناء من الاستعفاف ، وليس فيه الصبر على الحرمان على الشهوة ، بل فيها التلذذ بالذكر ، ولو كان الاستمناء من الاستعفاف لكان الاستمناء واجبًا لأن الاستعفاف واجب بقوله تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ﴾ إذ هو أمر للوجوب ، والقول بوجوب الاستمناء لا يقول به أحد من علماء المسلمين .

ب- أن الله تعالى أوجب الاستعفاف عند عدم المقدرة على الزواج ، ولم يجعل للعبد إلا خيارين : الزواج أو الاستعفاف ، فاقتضى ذلك تحريم الاستمناء ، ولو كان في الاستمناء مخرجًا للعبد في هذا الموطن لبينته الآية ، إذ إن لجوء الرجل للاستمناء إنما عند عدم الزواج مع رغبته فيه ، فلما سكتت الآية في هذا الموطن عن بيان جواز الاستمناء علم أنه غير جائز حكمًا ، والسكوت في مقام الحاجة للبيان يفيد الحصر .

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : [ولما لم يجعل الله عز وجل بين النكاح والعفة درجة ، دل على أن ما عداهما محرم ، ولا يدخل فيه ملك اليمين ، لأنه بنص آخر مباح وهو قوله : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ فجاءت فيه زيادة ويبقى على التحريم الاستمناء] ا.هـ .

وفي أحكام القرآن للكياالهراس : [قوله تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ : أمرهم بالتعفف عند تعذر النكاح عما حرمه الله تعالى ، وذلك على الوجوب ، وفيه دليل على أن إباحة الاستمتاع موقوفة [1] على

(١) أي : مقصورة .

النكاح ، ولذلك يحرم ما عداه ، ولا يفهم منه التحريم لملك اليمين لأن من لا يقدر على النكاح لعدم المال ، لا يقدر على شراء الجارية غالبًا ، وفيه دليل على بطلان نكاح المتعة ، ودليل على تحريم الاستمناء] ا.هـ .

والآية الكريمة لم تجعل هناك واسطة بين الاستعفاف وبين النكاح ، وأوجبت الاستعفاف بالأمر به ، فوجب ترك ما سوى النكاح ، أي أن ما سوى النكاح ينافي الاستعفاف ، ومنه الاستمناء ، إلا ما ورد الدليل بجوازه وهذا محصور في ملك اليمين .

فليتعفف غير القادر على الزواج ، وليفتعل العفة ، ومن يستعفف يعفه الله تعالى .

ويدل على عدم جواز الاستمناء باليد أيضًا إجازة نكاح الإماء حال خشية العنت مع ما فيه من المهانة والغض من شأن النفس بين الأحرار ، وجعله أبنائه منها أرقاء لغيره ، ولو كان الاستمناء باليد جائزًا لقدمه الشرع على نكاح الأمة خشية الوقوع في الزنا :

قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا (١) أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ (٢) الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ (٣) الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ (٤) مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النساء : ٢٥].

قال القرطبي : الصبر على العُزْبَة خير من نكاح الأمة ، لأنه يفضي إلى إرقاق

(١) سعة وقدرة .
(٢) الحرائر العفائف .
(٣) إمائكم .
(٤) الزنا .

الولد ، والغض من النفس والصبر على مكارم الأخلاق أولى من البذالة .

روي عن عمر أنه قال : « أيما حرٍّ تزوج أمة فقد أرَّق نصفه [١] » .

***

(١) يعني يصير ولده رقيقًا .

ثانيًا : من السنة النبوية

* والأدلة في ذلك على قسمين :

١ - قسم يدل بعمومه على تحريم الاستمناء موافقًا لدلالة الآيات السابقة .

٢ - وأحاديث صريحة في تحريم الاستمناء ، ولكن هذه الأحاديث ضعيفة لا تكفي كدليل مستقل على التحريم .

* أما أحاديث القسم الأول فمنها :

١ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ »[1] .

وهذا الحديث معتمد عند العلماء في الدلالة على تحريم الاستمناء باليد .

والمراد بالباءة : الجماع ، والمعنى : من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه ، وهي مؤن النكاح ، فليتزوج ومن لم يستطع مؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته .

* ووجه الدلالة في الحديث :

أن النبي ﷺ جعل العبد بين خيارين ، إما الزواج حال القدرة على تكاليفه ، وإما الاستعفاف بالصوم لكون الصوم يدفع الشهوة ويعين على الصبر على الحرمان منها ، ولم يذكر غيرهما وهو في حال بيان ، فدل السكوت عن الاستمناء وقت البيان على أن الاستمناء لا يجوز[2] .

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٥) ، ومسلم (١٤٠٠) ، والترمذي (١٠٨١) ، وأبو داود (٢٠٤٦) ، والنسائي (٢٢٣٩) ، وابن ماجة (١٨٤٥) ، والدارمي (٢٠٧١) ، وأحمد (٣٥٨١) .

(٢) فتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز .

ومعلوم أن الاستمناء أسهل وأيسر من الصوم ، فالاستمناء موافق للنفس للتلذذ به ، ولا يستغرق فعله زمنًا طويلًا ، أما الصوم ففيه مشقة ، وحرمان للعبد من الطعام والشراب طوال نهاره ، فالحث على الصوم وهو شاق وترك إباحة الاستمناء والدلالة عليه وهو سهل ميسور دل على أنه ليس مما يباح شرعًا ، وما كان النبي ﷺ ليعدل عن الأسهل إلى الأصعب إلا لحرمة الأسهل وعدم جوازه شرعًا .

قال ابن القيم رحمه الله : [والصحيح عندي أنه لا يباح - أي الاستمناء - لأن النبي ﷺ إنما أرشد صاحب الشهوة إذا عجز عن الزواج إلى الصوم ولو كان هناك معنى غيره لذكره] ا.هـ [1] .

٢- روى البخاري تعليقًا والإسماعيلي وأبو نعيم في مستخرجيهما على البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَجُلٌ شَابٌّ وَأَنَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي الْعَنَتَ وَلَا أَجِدُ مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ النِّسَاءَ فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **يَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ فَاخْتَصِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ** » [2] .

قال الحافظ في فتح الباري ما مختصره : [وليس الأمر في الحديث لطلب الفعل - أي الاختصاء - بل هو للتهديد [3] ، وهو كقوله تعالى : ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ ، والمعنى : إن فعلت أو لم تفعله فلا بد من نفوذ القدر وليس إذنًا في الاختصاء ، بل فيه إشارة إلى النهي عن ذلك كأنه قال : إذا علمت

---

(١) وانظر (بدائع الفوائد) لابن القيم جـ ٤ / ١٩٩ .

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٦) .

(٣) وقد جاء في الحديث نهيه ﷺ لعثمان بن مظعون رضي الله عنه عن الاختصاء .

أن كل شيء بقضاء الله فلا فائدة في الاختصاء] .

قال الحافظ في الفتح : [فإن قيل : لِمَ لم يأمر أبا هريرة بالصيام لكسر شهوته كما أمر غيره ؟ فالجواب : أن أبا هريرة كان الغالب من حاله ملازمة الصيام لأنه كان من أهل الصفة (١)] .

فإن قيل ألم يكن في زواج المتعة مخرجًا ، فالجواب : أن أبا هريرة أسلم متأخرًا بعد غزوة خيبر ، كما أن أبا هريرة لم تكن له القدرة المادية على أعباء الزواج وقتها ، وهذا غالب حال الصحابة من أهل الصفة وقتها حتى أعطاهم الله بعدها من فضله ، وقد كان زواج المتعة جائزًا ثم نسخ كما هو معلوم .

ووجه الاستدلال على تحريم الاستمناء باليد بهذا الحديث عدم الإرشاد إلى الاستمناء كمخرج لأبي هريرة وهو شاب يخاف على نفسه العنت ولا يجد ما يتزوج به النساء حتى صار يتمنى لو أذن له بالاختصاء ليعف نفسه عن الحرام ، والاستمناء أهون بكثير من الاختصاء ، فلو كان مخرجًا شرعيًا جائزًا للزم إرشاده إليه وحثه عليه ليذهب عنه مخافة العنت إلى أن يتمكن من الزواج بتحصيل القدرة المالية عليه .

*** أما أحاديث القسم الثاني :**

وهي كما ذكرنا أحاديث ضعيفة لا يحتج بها ، منها :

ما رواه الحاكم بسنده عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **سَبْعَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِيهِمْ وَلَا يَجْمَعَهُم مَعَ العَالَمِين وَيُدخِلهُم النَارَ مَعَ الدَاخِلِيْن إِلَّا**

(١) أهل الصفة جماعة من فقراء الصحابة في عهد النبي ﷺ لم يكن لهم المال الذي يعينهم على الحياة ، فلزموا المسجد النبوي يخرجون منه للتكسب بما يسد رمقهم ويعودون إليه للعبادة والصلاة فكان مسكنهم فيه حتى أعطاهم الله من فضله ومنهم أبو هريرة ﷺ .

أَن يَتُوبُوا : النَاكِح يَدَهَ وَالفَاعِلُ وَالمَفْعُولُ بِهِ وَمُدْمِن الخَمْر والضَارِب وَالِدَيْهِ حَتَّى يَسْتَغِيثَا وَالمُؤذِي جِيرَانَه حَتَى يَلْعَنَهُ النَّاس وَالنَاكِح حَلِيَلةِ جَارِهِ » .

قال ابن كثير في تفسيره : هذا حديث غريب ، وفي إسناده من لا يعرف لجهالته .

ونص على ضعفه الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ، وفي إسناده : مسلمة ابن جعفر ، قال الحافظ الذهبي في كتاب الميزان : يجهل هو وشيخه حسان بن حميد .

وقد روى أبو الشيخ بسنده ـ كما ذكر الحافظ في التلخيص ـ عن عبد الله بن عمرو نحوه مرفوعًا ، وفي إسناده ابن لهيعة ، وروى أبو الليث السمرقندي في كتابه (تنبيه الغافلين) بإسناده نحوه من طريق ابن عمرو مرفوعًا بلفظ : « سَبْعَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِيهِمْ وَيَقُوْلَ أُدْخُلُوا النَارَ مَعَ الدَاخِلِيْن : الفَاعِلُ وَالمَفْعُولُ بِهِ ـ يعني اللواط ـ وَالنَاكِحَ يَدَهَ وَنَاكِحَ البَهِيْمَةَ وَنَاكِحَ المَرأَةَ فِي دُبُرِهَا وَجَامِع المَرأةِ وَابْنَتَهَا وَالزَانِي بِحَلِيَلةِ جَارِهِ وَالسَابع : المُؤذِي جِيرَانَه حَتَى يَلْعَنَهُ النَّاس إِلَّا أَن يَتُوبُ » ، وفي سنده مجهول .

كما أخرج الحسن بن عرفة في جزئه نحو حديث أنس السابق مرفوعًا ، وفيه « ويدخلهم النار في أول الداخلين » بدلًا من « ويدخلهم النار مع الداخلين » وبزيادة « ومن تاب تاب الله عليه » بعد قوله : « إلا أن يتوبوا » .

***

ثالثًا : أضرار الاستمناء البدنية

لا يخلو الاستمناء (العادة السرية) من أضرار بدنية تحدث لمن يتخذ الاستمناء عادة له ، وتتضمن هذه الأضرار : الأضرار البدنية العامة ، والأضرار الخاصة بالناحية التناسلية ، وكذلك الأضرار على الناحية النفسية .

*** أما الأضرار العامة :**

فأهمها : الإجهاد البدني وإنهاك القوى ، إذ أن الاستمناء باليد وإن كان يحدث كسرًا للشهوة لكنه ليس في منزلة الجماع الذي يصاحبه تصريف تام للتفاعلات الفسيولوجية التي تصاحب الانتصاب والقذف نتيجة امتلاء النسيج الإسفنجي للذكر بالدم واحتقان الذكر وتوتر الجهاز العصبي وزيادة ضربات القلب ، أما في الاستمناء فتبقى آثار الاحتقان على منطقة الحوض والبروستاتا ولا تزول بالكلية ، فإذا تكرر الاستمناء شعر الفاعل له بالتعب والإجهاد يزداد ، وهذا كله لا يحدث مع الجماع الذي فيه يصاحب القذف شعور بالارتياح البدني إلى جانب الاسترخاء العصبي دون إحساس بالتعب والإجهاد [1] .

وبالاستمرار في تكرار الاستمناء في نفس اليوم يزداد الإنهاك للقوى والإحساس بالتعب وربما صاحبه حرقة في القناة البولية والذكر .

ومما يجعل صاحب عادة الاستمناء يكثر من الاستمناء سرعة الانتهاء منه وبالتالي قصر مدة لذته ، وقصورها ونقصها عن لذة الجماع .

---

(١) ما لم يكن هناك إسراف في تكرار الجماع في فترات زمنية متقاربة .

ويحتاج هذا الإنهاك إلى درجة من الراحة البدنية ، والتعويض للجسم بالتغذية الجيدة [1] .

*** أما الأضرار على الأعضاء التناسلية فمنها :**

١- **احتقان والتهابات البروستاتا المتكررة والمزمنة :** فعدم اكتمال التصريف للتفاعلات الفسيولوجية المصاحبة للاستمناء بالقذف يسبب احتقان البروستاتا وتكرر الاحتقان يسبب التهابات حادة أو مزمنة بها ، وربما أوقعت صاحبها في رحلة طويلة من العلاج ، لإزالة آثار هذه الالتهابات ، وما يصاحبها من عدم التحكم في إفرازات لا إرادية تعقب التبول بفترة ، أو عند حمل شيء ثقيل أو أداء تمارين يصاحبها زيادة ضغط البطن الداخلي ، ولعل من أسباب زيادة انتشار أمراض البروستاتا بين الشباب بصورة لم تكن موجودة من قبل ظهور هذه العادة الضارة بينهم قبل الزواج .

٢- **سرعة القذف :** وهي من الشكاوى الشائعة حاليًا بعد الزواج لمن اعتاد الاستمناء قبل الزواج ، حيث اعتاد بالاستمناء سرعة القذف وقِصَر مدة اللذة فيها ، مما يجعله يعتاد التعجيل في الجماع بعد الزواج وقد يتعذر عليه إطالة مدته ، فتوقعه في بعض المتاعب الزوجية مما يلجأه مع الوقت إلى استشارة الطبيب المختص والعمل بنصائحه أو استخدام العلاج الطبي المناسب لذلك ، ولا يخفى أن سرعة القذف يضيع على الزوجة استمتاعها بالجماع ، وينهي الجماع قبل بلوغ الزوجة كمال متعتها .

---

(١) وقد أخبرني شابٌ ـ كان معتادًا للاستمناء باليد ثم تاب وأقلع عن ذلك ـ أنه مارس تلك العادة القبيحة سبع مرات في يوم واحد حتى شعر بإرهاق بدني شديد وحرقة في الذكر ظل يعاني منها أيامًا ومع أنه كان يتميز بقوة جسمانية واضحة ، كل ذلك وهو لا يرى في هذا اليوم أنه قد أذهب عن نفسه شهوتها كما يريد ، بدليل تكرار الاستمناء في نفس اليوم إلى هذا العدد من المرات .

٣- **إدمان العادة السرية** : حيث يعتاد صاحب تلك العادة القبيحة على إحداث اللذة باليد أو بأي وسيلة أخرى تحتك بالأعضاء التناسلية ، فتتأصل عنده هذه العادة ، حتى تصير إدمانًا ربما لا يستغني عنه بعد الزواج ، وهذا بدوره يكون له تأثيرًا سلبيًا على حياته الزوجية ، إذ تعرض العلاقة بينهما للفتور أو النفور ، ولا يخفى أن هذا يعد اضطرابًا في الحياة الجنسية بين الزوجين .

*** أما الأضرار النفسية فمنها :**

١- تأثر نفسية الممارس لعادة الاستمناء : نتيجة إحساسه بحرمة ما يفعله وقبحه عند الناس ، وكتمانه لهذا الأمر ، والحرج من الجهر به ، وخشية إطلاع أهل بيته ومعارفه عليه ومعرفة حقيقة أمره [١] .

٢- خوف الممارس لعادة الاستمناء من أثار هذه العادة على بدنه ومستقبله وحياته الجنسية بعد الزواج خاصة وهو يرى نفسه يعاني الإرهاق البدني والتعب الجسماني بالممارسة وربما عاني من أثار احتقان البروستاتا والتهابها [٢] .

٣- إحساس الممارس لعادة الاستمناء بعدم قوة إرادته وتحكمه في نفسه بمنعها عما يضره في دينه ودنياه ، خاصة إذا استسلم كلية لهذه العادة فصار يمارسها بانتظام ، أو إذا حاول الإقلاع عنها فينجح لفترة ثم يعود إليها من جديد ، وكلما حاول فشل ،

---

(١) فإذا انكشف أمره بينهم أوقعه ذلك في حرج بالغ وخجل شديد ، وربما إلى عزلة واكتئاب .

(٢) وكثير من هؤلاء الشباب يتردد على عيادات الأطباء عند الشروع في الزواج من شدة خوفه على نفسه من آثار هذه العادة السيئة ، بل أخبرني أحدهم أنه مارس الزنا ليتأكد بالتجربة ويطمئن على صحته الجنسية عندما همَّ بالتقدم لفتاة أحبها ليتزوج منها !!! وهذا يبين بوضوح مدى خوف الممارس لهذه العادة على صحته الجنسية ، وكيف أنه يقع فريسة سهلة للشيطان يتلاعب به كيف يشاء .

فتتكرر محاولاته ، ويتكرر فشله ، فتسوء نفسيته بذلك ، ويلازمه إحساس بضعف إرادته ووهن عزيمته ، فتصير صفة سلبية فيه ، وهذا مشاهد معلوم في واقع الشباب .

٤ – وقوف هذه العادة القبيحة حائلًا بين الشباب والتزامه بدينه والمحافظة على تعاليمه ، فإحساس الشاب بإصراره على المعصية بعادة الاستمناء ، يوقعه في الجرأة على ذنوب أخرى ، وربما حال بينه وبين الالتزام بأعمال الإسلام الظاهرة كإطلاق اللحية والمحافظة على صلاة الجماعة في المساجد في أوقاتها لإحساسه بمخالفة باطنه بالاستمناء لظاهره أمام الناس بالالتزام بهذه الشعائر الظاهرة ، فيوسوس له الشيطان ترك هذه الأعمال الظاهرة لهذه الشبهة فيطيعه ، وكذلك ربما صرفه بنفس الشبهة عن ملازمة الصالحين وطلبة العلم الشرعي وأهل الصلاح لإحساسه الداخلي أنه أقل منهم التزامًا ومخالفة باطنه لظاهره وهو معهم ، وهذه من أعظم شبهات الشيطان ووسواسه مع الشباب في أول طريق الالتزام [1] ، خاصة إذا تكرر فشله في منع عادة الاستمناء .

٥– وقوع الممارس لهذه العادة السيئة تلذذًا في إدامة النظر لعورات النساء المتبرجات بشهوة ، ومطالعة وسائل الإعلام المقروءة والمصورة المثيرة للشهوة ، ومشاهدة وسائل الإعلام المرئية ، لتكون مادة فكره حال الممارسة لعادته السيئة ، ولا تخفى عواقب وأثار النظرات المحرمة على دين الشاب والتزامه وسلوكه الاجتماعي بين الناس .

---

(١) والواجب على من ابتلي بذلك أن يجاهد نفسه على التمسك بالطاعات وملازمة الصالحين ، ولا بأس بطلب النصح والإرشاد من أهل العلم في كيفية التخلص من تلك العادة القبيحة دون التصريح لهم بأنه مبتلى ، إذ أن البعد عن الطاعات والبعد عن مصاحبة أهل الخير يزيد الأمر سوءًا وتقل معه فرص الإصلاح ، فترك تلك العادة السيئة واجب ، وأداء الواجبات الظاهرة واجب ، فيلزم مجاهدة النفس للإتيان بذلك كله ، ولا يستسلم للشيطان مهما تكرر منه الذنب والخطأ فربما رزق التوبة الصادقة بتكرار التوبة والاستغفار وأداء الواجبات .

* فائدة :

١- عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ ، فَقَالَ : « **الْبِرُّ حُسْنُ الخلُقِ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ** » [١] .

٢- وقال ﷺ لوابِصَة بن مَعْبَد رضي الله عنه : « **الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي الْقَلْبِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ قَالَ سُفْيَانُ وَأَفْتَوْكَ** » [٢] .

٣- وعن أبي ثعلبة الخشني مرفوعًا : « **الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالْإِثْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ** » [٣] ، قال ابن رجب الحنبلي فيه أن إسناده جيد .

قال أبو الدرداء : الخير في طمأنينة ، والشر في ريبة .

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله : [وقوله في حديث النواس بن سمعان (الإثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس) : إشارة إلى أن الإثم ما أثر في الصدر حرجًا وضيقًا وقلقًا واضطرابًا فلم ينشرح له الصدر ومع هذا فهو عند الناس مستنكر بحيث ينكرونه عند اطلاعهم عليه ، وهذا أعلى مراتب معرفة الإثم عند الاشتباه ، وهو ما استنكر الناس فاعله وغير فاعله ، ومن هذا المعنى قول ابن مسعود

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٣) ، والترمذي (٢٣٨٩) ، وأحمد (١٧١٧٩) ، والدارمي (٢٦٧٠) .

(٢) رواه أحمد (١٧٥٤٠) ، والدارمي (٢٤٢١) ، وحسنه الألباني صحيح الترغيب والترهيب (١٧٣٤) ، وحسن النووي إسناده .

(٣) رواه أحمد (١٧٧٢٨٨) ، وصححه الألباني صحيح الجامع الصغير (٢٨٨١) .

ﷺ : « ما رآه المؤمنون حسنًا فهو عند الله حسن ، وما رآه المؤمنون قبيحًا فهو عند الله قبيح »] ا.هـ[١] .

أما وقد تبينت لنا مضار الاستمناء باليد واتخاذه عادة للتلذذ بها فإن ذلك يجعله محرمًا ، لدخوله في عموم الحديث المرفوع : « أَنْ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ »[٢] ، فمنع الضرر قبل حدوثه واجب ، ونظرة فاحصة لكثير من الشباب الممارس لتلك العادة السيئة والسماع لأعراض يشتكيها تدرك بعدها المضار العديدة لتلك العادة نتيجة الإرهاق بها والإدمان لها فيشتكي الممارس لها : من فقدان للشهية وقلة المجهود ونقص القدرة على العمل والتركيز فيه ، وهذا يؤدي إلى النحافة ونقص الوزن والشحوب وقلة الفهم والقلق والتوتر ، وبفحص المني تحت المجهر يتبين ضعف الحيوانات المنوية فيه وقلة عددها عن العدد الطبيعي وعدم اكتمال نمو الكثير منها ، مع شكاوى تتعلق باحتقان البروستاتا ونزول قطرات من الذكر في غير أوقات التبول نتيجة لذلك .

أما الشاب الذي يحفظ نفسه من السقوط في تلك الزلة فيتمتع بما يتمتع به الشاب في سن الشباب من الصحة والنشاط والحيوية وقوة التركيز وسرعة الفهم وكثرة الإنتاج والعمل والإقبال عليه .

***

(١) جامع العلوم والحكم لأبي رجب الحنبلي ط . الحلبي الخامسة صـ ٢٤٩ .

(٢) رواه ابن ماجة (٢٣٤٠) ، وأحمد (٢٨٦٢) ، ومالك (١٤١٦) ، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٨٩٦) .

استفسارات

والرد عليها

س : كيف نفرق بين المني والمذي ؟

جـ : المني : ماء أبيض ثخين ، يخرج من الذكر متدفقًا ، دفعة بعد دفعة ، مع جماع أو احتلام أو استمناء أو تفكر ، ويخرج بشهوة ، ويصحب خروجه لذة ، ويعقب خروجه فتور وانكسار للشهوة ، ورائحة المني وهو رطب (غير يابس) كرائحة طلع النخل ، قريب من رائحة البُّر ، ورائحة اليابس منه كرائحة بياض بيض الدجاج ، وخروج المني يوجب الغسل .

أما المذي فهو (ماء أبيض لزج يخرج عند التفكير في الجماع أو عند الملاعبة ، وقد لا يشعر الإنسان بخروجه) ، (إلا أنه إذا أصاب البدن وجب غسله ، وإذا أصاب الثوب اكتفى فيه بالرش بالماء ، لأن هذه نجاسة يشق الاحتراز عنها لكثرة ما يصيب ثياب الشاب العزب) [١] ، (وقد اتفق العلماء على أن المذي نجس) [٢] ، ولكن خفف تطهيره .

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً فَأَمَرْتُ رَجُلًا أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ لِمَكَانِ ابْنَتِهِ فَسَأَلَ ، فَقَالَ ﷺ : « **تَوَضَّأْ وَاغْسِلْ ذَكَرَكَ** » [٣] .

س : اختلف العلماء في المني طاهر أم نجس ، فما حكمه ؟

جـ : قال ابن تيمية رحمه الله في جوابه على المسائل الماردينية : [وأما المني : فالصحيح أنه طاهر ، كما هو مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه [٤] ، وقد قيل : أنه

---

(١) فقه السنة للسيد سابق رحمه الله .

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني جـ ١ / ٥٢ ط . الدعوة الإسلامية شباب الأزهر .

(٣) رواه البخاري (٢٦٩) ، ومسلم (٣٠٣) ، وأبو داود (٢٠٦) ، والنسائي (١٥٢) ، والترمذي (١١٤) ، ومالك (٨٦) ، وأحمد (٦٠٧) .

(٤) وهو أصح الروايتين عن أحمد .

نجس يجزئ فركه [١] ، كقول أبي حنيفة وأحمد في رواية أخرى ، وهل يعفى عن يسيره كالدم أو لا يعفى عنه كالبول ؟ على قولين : هما روايتان عن أحمد ، وقد قيل ، أنه يجب غسله [٢] ، كقول مالك ، والأول هو الصواب [٣] ، فإنه من المعلوم أن الصحابة كانوا يحتلمون على عهد النبي ﷺ ، وأن المني كان يصيب بدن أحدهم وثيابه ، وهذا مما تعم به البلوى ، فلو كان ذلك نجسًا لكان يجب [٤] على النبي ﷺ أمرهم بإزالة ذلك من أبدانهم وثيابهم ، كما أمرهم بالاستنجاء ، وكما أمر الحائض بأن تغسل دم الحيض من ثوبها بل إصابة المني للثياب والبدن أعظم بكثير من إصابة دم الحيض لثوب الحائض [٥] .

ومن المعلوم : أنه لم ينقل أحد أن النبي ﷺ أمر أحدًا من الصحابة أن يغسل المني من بدنه ولا ثيابه ، فعلم يقينًا أن هذا لم يكن واجبًا ، وهذا قاطع [٦] لمن تدبره ، وأما كون عائشة رضي الله عنها كانت تغسل تارة من ثوب النبي ﷺ ، وتفركه تارة [٧] ، فهذا لا

---

(١) أي : إذا كان يابسًا ، والمراد أنه نجس وطهارته بفرك يابسه وغسل رطبه .

(٢) أي : إذا كان رطبًا أو يابسًا .

(٣) أي أن طهارة المني هو الصواب .

(٤) مراده ما عليه العلماء من أن السنة مبينة للأحكام الشرعية الغير مفصلة في القرآن .

(٥) فالحائض تعلم بوقت حيضها ، وتحتاط لئلا يصيب دم الحيض ثيابها ، أما المحتلم فلا يعلم بوقت الاحتلام ولا يحتاط لمنع إصابة ثوبه من مني الاحتلام .

(٦) في الاحتجاج به .

(٧) روى الدارقطني عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : « كُنْتُ أَفْرُكُ الْمَنِيَّ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ يَابِسًا وَأَغْسِلُهُ إِذَا كَانَ رَطْبًا » . [رواه الدارقطني (٣)] ، وصحح الألباني إسناده ، وروى أبو داود عنها قالت : « كُنْتُ أَفْرُكُ الْمَنِيَّ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيُصَلِّي فِيهِ » [رواه مسلم (٢٨٨) ، وأبو داود (٣٧٢) ، والنسائي (٢٩٦) ، والترمذي (١١٦) ، وابن ماجة (٥٣٧) ، وأحمد (٢٣٥٤٤)] ، وصحح الألباني إسناده ، وروى أحمد بإسناد جيد عنها قالت : كان رسول الله ﷺ : « يَسْلُتُ الْمَنِيَّ مِنْ ثَوْبِهِ بِعِرْقِ الْإِذْخِرِ ثُمَّ يُصَلِّي فِيهِ وَيَحُتُّهُ مِنْ ثَوْبِهِ يَابِسًا ثُمَّ يُصَلِّي فِيهِ »
=

يقتضي نجاسته ، فإن الثوب يغسل من المخاط والبصاق والوسخ .

وهكذا قال غير واحد من الصحابة كسعد بن أبي وقاص وابن عباس [١] رضي الله عنهما وغيرهما : « المَنِيُّ بِمَنْزِلَةِ المُخَاطِ فَأَمِطْهُ عَنْكَ وَلَوْ بِإِذْخِرَةٍ » [رواه الترمذي (١١٧) ، وصححه الألباني في جامع الترمذي (١١٧)] ا.هـ [٢] .

وفي رسالة (حقيقة الصيام) لابن تيمية يقول : [والحديث الذي يرويه بعض الفقهاء : « يغسل الثوب من البول والغائط والمني والمذي والدم » ليس من كلام النبي ﷺ ، وليس في شيء من كتب الحديث التي يعتمد عليها ، ولا رواه أحد من أهل العلم بالحديث بإسناد يحتج به [٣] ، وروي عن عمار ، وغايته أن يكون من قوله [٤] ، وغسل عائشة للمني من ثوبه ، وفركها إياه ، لا يدل على وجوب ذلك فإن الثياب تغسل من الوسخ والمخاط والبصاق والوجوب إنما يكون بأمره ﷺ ، لا سيما ولم يأمر هو المسلمين بغسل ثيابهم من ذلك ، ولا نُقِل عنه أنه أمر عائشة بذلك ، بل أقرها على ذلك ، فدل على جوازه أو حسنه أو استحبابه ، وأما الوجوب فلا بد له من

[رواه أحمد (٢٥٥٢٨) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٩٥٣)] ، وانظر تخريج الألباني لرسالة (حقيقة الصيام) لابن تيمية صـ ٤٣ .

(١) وروي مرفوعًا ، وصحح البيهقي كونه موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) المسائل الماردينية لابن تيمية ط . مكتبة السنة المحمدية تحقيق محمد حامد الفقي صـ ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط ، وابن عدي في الكامل والدارقطني والبيهقي ، قال البيهقي : [هذا باطل لا أصل له وعلي بن زيد غير محتج به ، وثابت بن حماد متهم بالوضع] ، وقال الدارقطني : [لم يروه غير ثابت بن حماد وهو ضعيف جدًا] ، وقال عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الكبرى : (ثابت بن حماد أحاديثه مناكير ومقلوبات) .

(٤) ورواه أبو يعلى عن عمار بن ياسر مرفوعًا إلا أنه قال : (القيء) بدل (المذي) ، ولا يصح رفعه كما ذكرنا ، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة حديث (٤٨٤٩) : ضعيف جدًا .

دليل] ا.هـ[1] .

* وخلاصة المسألة في حكم طهارة المني :

١- أنه طاهر : وهو الصحيح ، وقيل :

٢- أنه نجس ، ويجب التطهر منه ، فيُغسل إن كان رطبًا ، ويجزئ فركه إن كان يابساً ، وقيل :

٣- أنه نجس ، ويجب غسله إن كان رطبًا أو كان يابسًا .

فدل فعل السيدة عائشة رضي الله عنها على مشروعية الفرك لليابس والغسل للرطب منه ، ويحتاج القول بوجوب ذلك لدليل ، إذ فعل السيدة عائشة وإقرار النبي ﷺ لها ، لا يفيد الوجوب كما ذكر ابن تيمية ، وغاية الأمر أن يقال أنه نجس خفف تطهيره على الأوجه المذكورة في الأحاديث ، والصحيح أنه طاهِر يستحب تطهيره بما ورد .

أما إيجاب الغسل له رطبًا ويابسًا لكونه نجسًا فمخالف للأحاديث .

س : ما الذي يترتب على خروج المني ؟

جـ : يترتب على نزول المني أحكامٌ منها :

١- يصير الرجل حدثه حدثًا أكبر ويسمى بذلك جنبًا .

٢- يلزمه الاغتسال الغسل الشرعي ليصير طاهرًا[2] .

٣- فإذا أصاب المني الثوب : فعلى الصحيح من أقوال العلماء أن المني طاهر ،

---

(١) رسالة (حقيقة الصيام) لابن تيمية ، تحقيق زهير الشاويش ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني صـ ٤٣ ـ ٤٤ .

(٢) يسمى الجنب نجسًا حكمًا ، أو محدثًا حدثًا أكبر ، إذ أن النجاسة : إما أن تكون حسية مثل نجاسة البول ودم الحيض ، وإما أن تكون نجاسة حكمية كالجنابة .

فالثوب على طهارته وتجوز الصلاة به ، ويستحب غسله إن كان المني رطبًا أو يفرك إذا كان المني يابسًا .

س : ما يحرم على الجنب حتى يغتسل ؟

جـ : يحرم على الجنب :

١ – الصلاة .

٢– الطواف بالكعبة المشرفة .

٣– مس المصحف .

٤ – قراءة القرآن الكريم وتلاوته .

٥– المكث في المسجد واللبث فيه .

*** فائدة :**

ورد أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه جنب ، قال الشوكاني في نيل الأوطار : [ورد من حديث أبي طلحة الأنصاري عند البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي بلفظ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلَا كَلْبٌ وَلَا جُنُبٌ** » (١) ، قيل : أراد بالملائكة السياحين غير الحفظة وملائكة الموت ، قال في معالم السنن : الملائكة الذين ينزلون بالبركة والرحمة وأما الحفظة فلا يفارقون الجنب وغيره] (٢) .

---

(١) رواه البخاري (٤٠٠٢) ، ومسلم (٢١٠٦) ، وأبو داود (٤١٥٢) ، والنسائي (٢٦١) ، والترمذي (٢٨٠٤) ، وابن ماجة (٣٦٥٠) ، والدارمي (٢٥٤٨) ، وأحمد (٦٣٣) .

(٢) انظر نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني ط . مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر جـ ٢ / ١٠٤ .

س : ما حكم الإمذاء ، وماذا يجب على من أمذى ؟

جـ : الإمذاء لا يكون إلا مع انتشار للذكر [١] ، وانتشار الذكر يكون مع شهوة وتفكر في الأمور الجنسية ، فإن كان ذلك التفكر من شاب غير متزوج ، باستدعاء الصور المحرمة في مخيلته ، وتصور أحوال الوقاع للنساء والمجامعة فهذا حرام ، وإن أمذى ولم يستمني ، أما الإمذاء من مداعبة المتزوج لزوجته أو تفكره فيها فلا حرمة فيه لكونها زوجته التي أحلها الله له .

أما المذي فنجس كما ذكرنا ولكن خفف تطهيره رفعًا للمشقة ويترتب على خروجه :

انتقاض الوضوء إن كان متوضئًا ، ويلزمه :

غسل ذكره وأنثييه ـ أي غسل الخصيتين .

ورش قطرات من الماء على الثوب ، ويتوضأ وضوءه للصلاة إذا أراد فعل ما يستلزم الطهارة الكاملة كالصلاة ، ولا يجب الغُسْل من خروج المذي ، ولا يلزم غَسْل الثوب إن أصابه المذي .

س : ما حكم من استمنى باليد شرعًا ، وماذا يجب عليه ؟

جـ : من تعمد إنزال المني في غير جماع فقد ارتكب ذنبًا وعليه :

أولًا : المسارعة إلى التوبة من هذا الذنب ، مع العزم على عدم العودة إليه .

ثانيًا : الاغتسال الغسل الشرعي لرفع الجنابة ، ويحرم عليه قبل أن يغتسل ما يحرم على الجنب من أداء الصلاة ، ومس المصحف ، وقراءة القرآن ، ودخول المسجد

---

(١) انتشار الذكر ؛ أي : انتصابه ، وفي لسان العرب جـ ١٤ / صـ ١٤٢ وانتشر ذكره إذا قام .

للمكث فيه .

وللأسف فكثير من الشباب ـ خاصة الطلاب منهم ـ يؤخر هذا الغسل من الاستمناء إما لضيق الوقت عنده ، أو الحرج من الاغتسال أمام أهل البيت صباحًا ، أو لبرودة الجو شتاءًا وخشية أن يمرض إن خرج من البيت صباحًا مغتسلًا ، وغير ذلك من الأعذار الواهية ، فيتوجه إلى مدرسته أو كليته وهو جنب ، ويؤخر أداء الصلاة المكتوبة بسبب ذلك ، وربما مس المصحف أو قرأ القرآن في حصة التربية الدينية وهو جنب ، فيزداد بذلك ذنبه ووزره ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

س : ما حكم من استمنى بيده في نهار رمضان وهو صائم ؟ وماذا يجب على الصائم إذا فعل ذلك ؟

جـ : من مارس العادة السرية نهارًا وهو صائم في رمضان صار بذلك مفطرًا إذ أن تعمد الإنزال في نهار رمضان يبطل الصوم ، وتعمد هذا الإبطال للصيام في رمضان ذنب عظيم ، ويلزم فاعل ذلك :

١ – سرعة التوبة والاستغفار لعظم هذا الذنب .

٢ – إكمال صيام اليوم حتى غروب شمسه إذ أن من تعاطى أسباب الفطر بغير عذر شرعي يلزمه إتمام صوم اليوم لحرمة شهر رمضان .

٣ – قضاء يوم بعد انتهاء شهر رمضان بديلًا عن هذا اليوم ، وليس عليه كفارة الجماع ، إذ أن الاستمناء باليد قضاء للشهوة غير كامل ، ليس فيه كفارة كالجماع .

٤ – هذا إلى جانب ما يلزمه في غير رمضان من المسارعة إلى الاغتسال الغسل الشرعي لرفع الجنابة ، حتى لا يفوته أداء صلاة واجبة أو يمتنع عن قراءة القرآن طوال فترة الجنابة فيفوته من الخير الكثير ، والله تعالى أعلم .

س : ما حكم صيام من لم يستكمل الاستمناء باليد وهو صائم في نهار رمضان ولكن خرج منه مذي ؟

جـ : من مارس العادة السرية ولم يستكمل الممارسة حتى الإنزال ولكنه أمذى أثناء نهار رمضان وهو صائم فاختلف في حكمه بين الفقهاء على قولين :

فذهب الشافعي وأبو حنيفة إلى فساد صوم من أمذى وهو صائم ، وعليه القضاء لليوم بعد انتهاء رمضان ، ويلزمه ما يلزم المستمني إلا أنه لا غسل عليه لكونه لم يصير جنبًا بالإمذاء ، والقول الثاني عدم فساد صومه بالإمذاء وقصر بطلان الصوم على إنزال المني .

س : كيف يكون الغُسْل الشرعي ؟

جـ : الغسل معناه : تعميم البدن بالماء ، وللغسل ركنان :

١ -النية .

٢- غسل جميع أعضاء البدن ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ [المائدة : ٦] أي اغتسلوا ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ﴾ [النساء : ٤٣]، وحقيقة الاغتسال غسل جميع الأعضاء .

*ويسن للمغتسل مراعاة السنن الآتية في الغسل على النحو التالي [١] :

١ -يغسل يديه ثلاثًا .

٢ -يغسل فرجه .

---

(١) راجع فقه السنة للسيد سابق رحمه الله أبواب الطهارة (أركان الغسل وسننه) .

٣- يتوضأ وضوءًا كاملًا كالوضوء للصلاة .

٤- يفيض الماء على رأسه ثلاثًا مع تخليل الشعر بإدخال أصابعه في أصول الشعر .

٥- يفيض الماء على سائر البدن ، يبدأ بشق البدن الأيمن ثم الأيسر مع تعاهد الإبطين والأذنين والسرة وأصابع الرجلين ودلك ما يمكن دلكه من البدن .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ يَبْدَأُ فَيَغْسِلُ يَدَيْهِ ثُمَّ يُفْرِغُ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَيَغْسِلُ فَرْجَهُ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ يَأْخُذُ الْمَاءَ فَيُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِي أُصُولِ الشَّعْرِ حَتَّى إِذَا رَأَى أَنْ قَدْ اسْتَبْرَأَ (أي أوصل الماء إلى أصول الشعر)حَفَنَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ حَفَنَاتٍ ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى سَائِرِ جَسَدِهِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ » [1] .

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَتْ مَيْمُونَةُ رضي الله عنها : وَضَعْتُ لِرَسولِ اللهِ ﷺ مَاءً يَغْتَسِلُ بِهِ فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَهُمَا مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ أَفْرَغَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَغَسَلَ مَذَاكِيرَهُ ثُمَّ دَلَكَ يَدَهُ بِالْأَرْضِ ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَغَسَلَ رَأْسَهُ ثَلَاثًا ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى جَسَدِهِ ثُمَّ تَنَحَّى مِنْ مَقَامِهِ فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ [2] .

س : كانت العرب تعرف الاستمناء باليد ويمارسه الرجال في الأسفار الطويلة التي لا يصطحبون فيها زوجاتهم ولا يرون فيه حرجًا وفي ذلك يقول شاعرهم [3] :

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣) ، ومسلم (٣١٦) ، وأبو داود (٢٤٢) ، والنسائي (٢٤٣) ، والترمذي (١٠٤) ، وابن ماجة (٥٧٤) ، ومالك (١٠٠) ، والدارمي (٧٤١) ، وأحمد (٢٣٧٣٦) .

(٢) رواه البخاري (٢٦٥) ، ومسلم (٣١٧) ، وأبو داود (٢٤٥) ، والنسائي (٤١٩) ، والترمذي (١٠٣) ، وابن ماجة (٥٧٣) ، وأحمد (٢٦٢٥٨) والدارمي (٧٤٠) .

(٣) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره لسورة (المؤمنون) .

إذا حللت بواد لا أنيس به فاجلد عميرة لا داء ولا حرج

ومع ذلك لم يأتِ في الشرع النهي الصريح عن ذلك فكيف يقال بالتحريم ؟ ولما لا يعد عدم التصريح بالتحريم دليلًا على الإباحة والإقرار ؟

والجواب :

أن العرب وإن كان منها من كان يفعل ذلك في الأسفار الطويلة فإنه لم يكن منتشرًا بينهم وشائعًا ، ولم يكن عادة تمارس في الحضر للتلذذ بها ، فقد كانوا يلجئون إليه أحيانًا ، وربما للحاجة ، ولم يكن أصحاب النفوس ذات المرؤة والفضيلة تفعله بل تستقبحه ، فهو أمر مستقبح عقلًا وعرفًا ، وكون بعضهم لا يرى فيه حرجًا فلم يكن عن دين وشرع .

والعلماء قد بينوا حكم الاستمناء شرعًا كما أسلفنا وهم أدرى بالشرع منا ، ولا يشترط أن يصرح الشرع بذكر الاستمناء والتحريم إذ تكفي إشارته إلى تحريمه ، والعلماء قد بينوا وجه الاستدلال شرعًا على التحريم فعلم منهم حكم الشرع فيه ، فالنص القرآني لما أمر بحفظ الفرج استثنى ما يباح فعم التحريم ما لم يستثنى ، والسنة النبوية لما بينت وسيلة الإعفاف للشاب المسلم علم منها أن ما عداها ليس من وسائل الإعفاف الشرعية ، وهذا ظاهر ، فكيف يعارض بفعل للعرب كان في الجاهلية يتعاطاه من لم يكن منهم على مرؤة وفضيلة تامة ، ويكون في أسفارهم الطويلة التي تمتد لأسابيع وشهور بعيدًا عن الزوجات والحليلات .

س : هل يجوز ممارسة الاستمناء باليد حماية للنفس من الوقوع في الفاحشة خاصة وإن هناك كلام للعلماء يفهم منه جواز ذلك ؟

جـ : لقد اقتنع كثير من الشباب أنه يجوز له ممارسة هذه العادة حماية لنفسه من

الفواحش العظام : كالزنا واللواط ، وهم عندما يتكلمون بذلك يخيّلون إليك أنهم قاب قوسين أو أدنى من الوقوع في الفاحشة ، وأن أسبابها حاضرة بين أيديهم ، وأنهم سيقعون فيها الآن للتو واللحظة ، وإذا تأملت واقعهم وجدت بينهم وبين الفاحشة أمدًا بعيدًا ، لكن يهولون الوضع لأنفسهم ليقنعوا أنفسهم أن ما يقومون به ضرورة ، ويتناقلون أن بعض العلماء أباحوه للضرورة [١] .

(والاستمناء لا يباح عند أكثر العلماء سلفًا وخلفًا سواء خشي العنت أو لم يخش ذلك ، وكلام ابن عباس وما روى عن أحمد [٢] فيه إنما هو لمن خشي العنت وهو الزنا واللواط خشية شديدة ، خاف على نفسه من الوقوع في ذلك ، فأبيح له ذلك لتكسير شدة عنته وشهوته ، وأما من فعل ذلك تلذذًا وتذكرًا [٣] أو عادة : بأن يتذكر في حال استمنائه صورة كأنه يجامعها فهذا كله محرم لا يقول به أحمد ولا غيره) [٤] ، (والصبر عن هذا من الواجبات لا من المستحبات ، ومن القناعات التي تحتاج إلى مراجعة أيضًا : ظن بعضهم أن الاستمناء يحل مشكلة الشهوة المتفاقمة ، وأنه يطفئ نارها ، والحق أنه حل مؤقت بل وهمي ، بل الذي يحدث أن من يمارسها يشعر بالحاجة إلى ممارستها مرة أخرى بعدها مباشرة ، وهكذا يصاب بالإنهاك ، ثم لو أطفأ نار الشهوة يومًا ، فإنها لا تلبث أن تستعر بسرعة فيعود إلى الوقوع فيها [٥] ، وهكذا فهو أراد

---

(١) العادة السيئة للشيخ محمد صالح المنجد ط . مكتبة الصفا : صـ٢٨ ـ ٢٩ .

(٢) أي : الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

(٣) أي : تفكرًا .

(٤) المصدر السابق : صـ ٣١ ـ ٣٢ .

(٥) ولهذا تتحول إلى عادة بسبب سهولة أدائها من جهة ، ولكونها لا تكسر الشهوة وتزيلها بالكلية .

الهروب من مشكلة فوقع في مصيبة)[1] .

س : ما هو الاحتلام ؟ وما حكمه شرعًا ؟ وماذا ينبغي على المحتلم بعد احتلامه ؟

جـ : الاحتلام قذف الذكر للمني حال النوم لا اليقظة ، سواء كان معه رؤية النائم لمعاشرته الجنسية لامرأة أم لا ، والمحتلم لا إثم عليه بالاحتلام إذ إن النائم قد رفع عنه قلم التكليف حتى يستيقظ ، فإن كان الاحتلام في نهار رمضان ـ أو غير رمضان ـ وهو صائم فلا يبطل ذلك صومه ولا إثم عليه ويكمل صومه كغيره من الصائمين .

ولكنه يصير بالاحتلام وخروج المني جنبًا فيحرم عليه ما يحرم على الجنب ويلزمه الاغتسال من الجنابة .

س : هل مس الذكر ينقض الوضوء ؟

جـ : من نواقض الوضوء مس الذكر ، وهذا مذهب جمهور العلماء ، الشافعي وأحمد ومالك في المشهور عنه ، خلافًا للحنفية ، وفي الحديث : عَنْ بُسْرَةَ بِنْتِ صَفْوَانَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلَا يُصَلِّ حَتَّى يَتَوَضَّأَ »[2] ، وقد اشترط في المس الناقض للوضوء أن يكون بغير حائل ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

---

(١) المصدر السابق : صـ ٣٢ .

(٢) رواه أبو داود (١٨١) ، والنسائي (١٦٣) ، والترمذي (٨٢) وصححه ورواه ابن ماجة (٤٧٩) ، وأحمد (٢٦٧٤٩) وصححه ، والدارمي (٧١٨) ، وصححه الألباني في جامع الترمذي (٨٢) ، وراجع نيل الأوطار للشوكاني ط . مكتبة الدعوة الإسلامية جـ ١ / ١٩٧ ـ ١٩٨ ، وقد صححه أيضًا الدارقطني ويحيى بن معين .

« مَنْ أَفْضَى بِيَدِهِ إِلَى ذَكَرِهِ لَيْسَ دُونَهُ سِتْرٌ فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْوُضُوءُ »[١] .

س : هل ينصح بتعاطي علاجات طبية تمنع قدرة الشاب على ممارسة الاستمناء باليد لتمنعه من الوقوع فيها ؟

جـ : أما التدخلات الجراحية كعلاج فلا ، مهما كانت رغبة الشاب في العفة والفضيلة ، ومهما كانت ظروفه وأحواله ، فجب الذكر [٢] أو استئصال الخصيتين [٣] ونحو ذلك فمحرم قطعًا ، فقد ورد النهي عن الاختصاء كما سبق .

* أما استعمال أدوية تمنع انتشار الذكر [٤] وتسبب العنة [٥] بصورة مؤقتة ، فلا ننصح بها لأي شاب لأسباب عديدة منها :

١- أن عمل بعض هذه الأدوية مداره على التأثير على نشاط الهرمونات الجنسية في الجسم ، ولا يناسب ذلك سلامة شاب في مقتبل العمر .

٢- أن ذلك يستلزم استعمال هذه الأدوية لسنوات طويلة أو أشهر متتابعة لحين تيسر الزواج ، ولا يخفى تأثير هذه الأدوية بأعراضها الجانبية على سلامة أعضاء الجسم الحيوية .

٣- أن ذلك يضيع على الشاب أن تكون له عزيمة وإرادة على مقاومة شهوات نفسه ، وصلاح الإنسان في الدنيا وعظم ثوابه في الآخرة إنما بتلك العزيمة والإرادة

---

(١) رواه أحمد (٨١٩٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٦٢) ، وراجع نيل الأوطار للشوكاني ط . مكتبة الدعوة الإسلامية جـ ١ / ١٩٩ ، وقد صححه أيضًا ابن حبان والحاكم وابن عبد البر .

(٢) أي : قطعه .

(٣) وهو الإخصاء .

(٤) أي : انتصابه .

(٥) العنين : من لا قدرة له على الانتصاب وبالتالي الجماع والإنجاب .

التي تميز الشاب الطائع على العاصي الفاسد .

* تنبيه :

آثرت عدم التعرض بالذكر للأقوال المخالفة لجمهور العلماء في تحريم الاستمناء ، وهما قولان :

الأول : بالإباحة مطلقًا وهو مذهب ابن حزم من الظاهرية .

والثاني : بالإباحة للحاجة أو خشية الوقوع في الفتنة أو للضرورة وهو قول عند الحنابلة وبعض الحنفية ، وربما ظن البعض في ذلك حجة له على إتيانه تلك العادة المستقبحة عند الجميع قديمًا وحديثًا ، والصواب تحريم الاستمناء كما هو مذهب الجمهور ، خاصة من شبابنا المسلم الذي على عاتقه مهام عظيمة تجاه أمته الإسلامية في زماننا الحالي خاصة وقد انتشرت وشاعت أسباب الإثارة والفتنة في كل مكان وإلى الله المشتكى .

ولا يخفى أن هناك أحوال يجوز فيها الاستمناء ولكنها حالات خاصة جدًا ، منها : التطبب : بطلب طبيب مختص الحصول على عينة مني للفحص المعملي لشاب مقدم على زواج ويحتاج لهذا الفحص لأسباب ، أو لرجل متزوج ينظر في أسباب تتعلق بعدم إنجابه رغم سنوات زواجه ، وإعادة ذلك الفحص للتأكد أو متابعة الحالة بعد العلاج ونحو ذلك .

ولا يخفى أنه مع القول بإباحة تلقيح بويضة الزوجة بمني الزوج تلقيحًا صناعيًا فسيحتاج الأمر لمثل ذلك ، وكذلك من يساق إلى الزنا انسياقًا أو إكراهًا فيتعمد الاستمناء ليحول بين نفسه وبين القدرة على المجامعة فنرجو ألا يكون هناك بأسًا من

ذلك [١] وكلها حالات خاصة قليلة وليست داخلة في غالب حالات الشباب الممارس للعادة السرية تلذذًا والتي نوجه إليه هذه الرسالة خاصة .

* * *

(١) فهو يرتكب أخف الضررين وأقل الإثمين إذ ليس له قدرة على دفع الضررين معًا وكان أداء الأخف يمنع الأكبر .

آداب

إسلامية منسية

ترك كشف العورة بلا حاجة حتى إذا اختلى الإنسان بنفسه

عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ قَالَ : « احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ » ، قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ، قَالَ : « إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَيَنَّهَا » ، قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا ، قَالَ : « اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنْ النَّاسِ » [1] .

***

(١) رواه أبو داود (٤٠١٧) ، والترمذي (٢٧٩٤) ، وابن ماجة (١٩٢٠) ، وحسنه الألباني في سنن أبي داود (٤٠١٧) ، وانظر تحفة العروس صـ ١٣٠ وآداب الزفاف للألباني .

عدم الجهر بالمعصية والتحدث بها تباهيًا أو تهاونًا

« عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ » [1] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا يَسْتُرُ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » [2] .

***

(١) رواه البخاري (٦٠٦٩) ، ومسلم (٢٩٩٠) .

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٠) ، وأحمد (٢٧٤٨٤) .

المنع من مس الذكر باليد اليمنى حال التبول والاستنجاء وغير ذلك

ذكر البخاري في باب (النهي عن الاستنجاء باليمين) بسنده عن النبي ﷺ قال : « إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ وَإِذَا أَتَى الخَلَاءَ فَلَا يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَلَا يَتَمَسَّحْ بِيَمِينِهِ »[1] .

ففي الحديث النهي عن الاستنجاء باليمين ، وقد اختلف في حكم ذلك هل هو للتنزيه أم للتحريم ، والجمهور على الأول ، وأهل الظاهر على التحريم ، وهذا حيث كانت اليد تباشر الاستنجاء بآلة غيرها كالماء وغيره ، أما بغير آلة فحرام[2] .

وفي الحديث : « نَهَى أَنْ يَمَسَ الرَجُلُ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَأَنْ يَمْشِيَ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ وَأَنْ يَشْتَمِلَ الصَّمَّاءَ وَأَنْ يَحْتَبِيَ فِي ثَوبٍ لَيْسَ عَلَى فَرْجِهِ شَيءٌ مِنْهُ »[3] .

وفي باب (لا يمسك ذكره بيمينه إذا بال) روى البخاري بسنده أن النبي ﷺ قال : « إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَلَا يَسْتَنْجِي بِيَمِينِهِ وَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ »[4] ، وفيه النهي عن المس حال التبول ، ومفهومه أن ما عداه مباحًا ، ويؤيد ذلك حديث طلق بن علي حين سأل عن مس الذكر فقال ﷺ : « إِنَّمَا هُوَ بَضْعَةٌ مِنْكَ »[5] ،

---

(١) رواه البخاري (١٥٣) ، ومسلم (٢٦٧) ، وأبو داود (٣١) ، والنسائي (٤٧) ، والترمذي (١٥) ، وابن ماجة (٣١٠) ، و أحمد (١٨٩٢٧) ، والدارمي (٦٧١) .

(٢) انظر فتح الباري ، دار الغد العربي جـ ١ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

(٣) كنز العمال (٢٦٤١٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦٨٤٤) ، وانظر ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزيادته باب (آداب قضاء الحاجة) .

(٤) رواه البخاري (١٥٤) ، ومسلم (٢٦٧) ، وأبو داود (٣١) ، والنسائي (٢٤) ، والترمذي (١٥) ، وابن ماجة (٣١٠) ، وأحمد (٢٢٠٥٩) ، والدارمي (٦٧١) .

(٥) رواه أبو داود (١٨٢) ، والنسائي (١٦٥) ، والترمذي (٨٥) ، وابن ماجة (٤٨٣) ، وأحمد =

فدل على الجواز في كل حال ، وخرج المس حال البول أو الاستنجاء للذكر بهذا الحديث .

قوله ﷺ : « فَلَا يَأْخُذَنَّ » أي : (لا يمسكِ) ، وهو رواية عند مسلم ، وفي رواية للإسماعيلي : « لا يمس »[1] .

والنهي عن الاستنجاء باليمين غير النهي عن مس الذكر باليمين عند التبول ، فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَمَسَّنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ ، وَلَا يَتَمَسَّحْ مِنَ الخَلَاءِ بِيَمِينِهِ ، وَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ » . رواه مسلم

قال الصنعاني : (وهذا تنبيه على شرف اليمين ، وصيانتها عن الأقذار) ا.هـ[2] .

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ صُهْبَانَ قَالَ : سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه يَقُولُ : مَا تَغَنَّيْتُ وَلَا تَمَنَّيْتُ وَلَا مَسَسْتُ ذَكَرِي بِيَمِينِي مُنْذُ بَايَعْتُ بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ[3] .

قَالَ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ : مَا مَسَسْتُ فَرْجِي بِيَمِينِي مُنْذُ بَايَعْتُ بِهَا رَسولَ اللهِ ﷺ[4] .

وَعَنْ أَبِي العَالِيَةَ رحمه الله قَالَ : « مَا مَسَسْتُ ذَكَرِي بِيَمِينِي مُنْذُ سِتِينَ سَنَةً أَو سَبْعِينَ سَنَةً »[5] .

(١٥٨٥١) ، وصححه الألباني في سنن النسائي (١٦٥) .

(١) فتح الباري جـ ١ / ٤٢٧ ـ ٤٢٨ .

(٢) سبل السلام للصنعاني ط . الحلبي الرابعة : جـ ١ / ٧٧ .

(٣) رواه ابن ماجة (٣١١) ، وقال الألباني في سنن ابن ماجة : ضعيف جدًا (٣١١) .

(٤) رواه أحمد (١٩٤٤١) .

(٥) حلية الأولياء الجزء ٢ ، صـ ٢١٩ .

من هديه ﷺ عند النوم

« عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ » [(١)].

وعن حذيفة رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ وَضَعَ يَدَهُ يَعْنِي الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ أَوْ تَجْمَعُ عِبَادَكَ » [(٢)].

وَعَنْ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ » [(٣)].

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ فِي يَدَيْهِ وَقَرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَمَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ [(٤)].

وفي رواية أيضًا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى إِلَى فِرَاشِهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا [(٥)]، وَقَرَأَ فِيهِمَا قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ مَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ

---

(١) رواه البخاري (٦٣٢٠) ، ومسلم (٢٧١٤) ، وأبو داود (٥٠٥٠) ، والترمذي (٣٤٠١) ، وابن ماجة (٣٨٧٤) ، وأحمد (٧٧٥٢) ، والدارمي (٢٥٦٨) .

(٢) رواه ابن ماجة (٣٨٧٧) ، وأحمد (٤٢١٤) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٥٤) .

(٣) رواه أبو داود (٥٠٤٥) ، وأحمد (٢٥٩٢٦) ، وصححه الألباني في سنن أبي داود (٥٠٤٥) .

(٤) رواه البخاري (٦٣١٩) .

(٥) قال النووي : (قال أهل اللغة : النفث نفخ لطيف بلا ريق) .

ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » (١) .

وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ » (٢) .

وكان ﷺ يقرأ آية الكرسي (٣) . [حديث أبي هريرة]

ومن دعائه ﷺ عند النوم : « بِسْمِ اللهِ وَضَعْتُ جَنْبِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَأَخْسِئْ شَيْطَانِي وَفُكَّ رِهَانِي (٤) وَاجْعَلْنِي فِي النَّدِيِّ (٥) الْأَعْلَى » (٦) .

ومن آداب النوم : عدم النوم على البطن ، فعن يعيش بن طِخْفَة الغفاري رضي الله عنه قال : قَالَ أَبِي : فَبَيْنَمَا أَنَا مُضْطَجِعٌ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ السَّحَرِ عَلَى بَطْنِي إِذَا رَجُلٌ يُحَرِّكُنِي بِرِجْلِهِ فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ ضِجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ قَالَ : فَنَظَرْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ (٧) .

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٥٦) ، والترمذي (٣٤٠٢) ، وأحمد (٢٤٣٣٢) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٠٤) .

(٢) رواه البخاري (٢٤٧) ، ومسلم (٢٧١٠) ، وأبو داود (٥٠٤٦) ، والترمذي (٣٥٧٤) ، وابن ماجة (٣٨٧٦) ، وأحمد (١٨٢٠٥) ، والدارمي (٢٥٦٧) .

(٣) رواه البخاري تعليقًا (٥٠١٠) ، والنسائي بسند قوي ، والترمذي وحسنه ، وابن حبان في صحيحه .

(٤) الفك : التخلص ، والرهان : جمع رهن ، والمراد : تخليصه مما نفسه مرتهنة به من حقوق الله تعالى .

(٥) الندي : النادي ، المجلس يجتمع فيه القوم ، والمراد مجلس الملائكة المقربين .

(٦) رواه أبو داود (٥٠٥٤) ، وصححه الألباني في سنن أبي داود (٥٠٥٤) .

(٧) رواه أبو داود (٥٠٤٠) ، وأحمد (١٥١١٥) ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٨٠) .

قال في عون المعبود : (وفي الحديث أن النوم على البطن لا يجوز)[1] .

ومن آداب النوم : ألا يبيت الرجل ليله وحده ، فقد ورد النهي : عَنْ أَنْ يَبِيتَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ[2] .

ومن آداب النوم : التفريق بين الأولاد في المضاجع فلا يكونوا تحت غطاء واحد سدًا للذريعة لئلا تقع مفاسد ، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ : « **مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ** »[3] .

* وقد تضمن هذا الحديث فوائد تربوية كثيرة ، ينبغي التنبيه عليها وتعليمها لأولياء الأمور والمربين ، منها :

١- تنبيه الوالدين إلى دورهما في تربية الصغير .

٢- تعويد الطفل من الصغر وقبل البلوغ على المحافظة على العبادات والحرص على ذلك .

٣- أهمية الصلاة والمحافظة عليها في حياة النشء .

٤- دور العبادات في غرس الإيمان في نفس الصغير .

٥- التربية بمبدأ التلقين والتكرار للأمر ، لمعالجة الكسل والتراخي والغفلة والنسيان عند الصغير .

---

(١) عون المعبود جـ١٣ / ٣٨٣ .

(٢) رواه أحمد (٥٦١٨) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٠) ، وانظر مسند أحمد جـ ٢ / ٩١ ، وصحيح الجامع رقم (٦٩١٩) .

(٣) رواه أبو داود (٤٩٥) ، وأحمد (٦٦٥٠) ، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٩٨) ، ورواه الحاكم في مستدركه جـ ١ / ٢٠١ ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي .

٦- التدرج في خطوات التربية للصغار ، فقبل السابعة لا يؤمر بالصلاة ، ومن السابعة إلى العاشرة يؤمر بها ويكرر له الأمر ، وبعد العاشرة يبدأ ضربه على ترك الصلاة .

٧- أهمية التعليم والتوجيه والإرشاد وتكرار التصويب للصغير قبل البدء في العقوبة البدنية .

٨- التفريق في المضاجع من سن العاشرة فما فوقها إبعاد للنشئ قرب البلوغ عن المؤثرات والمهيجات الخارجية حتى بين الإخوة وأهل البيت مع بعضهم البعض ، فكيف مع من خارج البيت .

٩- التنبيه على حرمة اللمس للعورات حتى مع المحارم من نفس الجنس .

١٠- التنبيه على تهذيب وحفظ الغريزة الجنسية من الصغر ، إذ في سن العاشرة تكون الغريزة في طريقها للنمو ، [وإنما أمر بتفريق المضاجع لأن الأيام أيام مراهقة فلا يبعد أن تفضي المضاجعة إلى شهوة المجامعة فلا بد من سد سبيل الفساد قبل وقوعه] [١] .

فـ[إن النوم في فراش تحت لحاف واحد يؤدي بالأطفال أن تنمو فيهم الغريزة الجنسية بسرعة متزايدة وأن تتأجج فلا تجد طريقًا لإنفاذها إلا ببعض مظاهر الانحراف والشذوذ الجنسي وكم تحدث من شذوذات تحت اللحاف لا يشعر بها الأبوان] [٢] .

---

(١) انظر [حجة الله البالغة] للعلامة شاه ولي الله الدهلوي جـ ١ / ١٨٦ .

(٢) منهج التربية النبوية للطفل : تأليف محمد نور سويد ط . الرابعة دار الوفاء بالمنصورة صـ ٢٦٤ ، وقد أفادت دراسات حول ذلك إلى أن من أسباب شذوذ بعض الشباب جنسيًا تساهل الآباء في أمر نومهم مع قرنائهم في فراش واحد بصورة مخالفة للشرع .

١١= تعويد الصغير على الخير ، حتى يصير الخير له عادة يمارسها بتلقائية ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « الخَيْرُ عَادَةٌ وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ وَمَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » [1] .

***

(١) رواه ابن ماجة (٢٢١) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٤٨) .

خلق الحياء شعبة من الإيمان

قال النووي رحمه الله : [قال العلماء : حقيقة الحياء : خُلُقٌ يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ، وروينا عن أبي القاسي الجنيد رحمه الله قال : الحياء رؤية الآلاء أي النعم ، ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى حياء ، والله أعلم] ا.هـ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ » [1] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا [2] .

ومن شعر أبي تمام قوله :

فلا والله ما في العيش خيرٌ   ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ
إذا لم تخش عاقبة الليالي   ولم تستحي فاصنعْ ما تشاءُ

***

(١) رواه البخاري (٩) ، ومسلم (٣٥) ، وأبو داود (٤٦٧٦) ، والنسائي (٥٠٠٤) ، وابن ماجة (٥٧) .

(٢) رواه البخاري (٣٥٦٢) ، ومسلم (٢٣٢٠) ، وابن ماجة (٤١٨٠) ، وأحمد (١١٣٣٩) .

حفظ الفرج يُدخل الجنة

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحيَيْهِ وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الجَنَّةَ » (١) .

وقال ﷺ : « اثْنَانِ يَدْخُلانِ الجَنَّةَ : مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ لَحيَيْهِ وَرِجْلَيْهِ دَخَلَ الجَنَّةَ » (٢) .

* * *

(١) رواه الترمذي (٢٤٠٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٩٣) ، وانظر تحفة العروس : صـ ٢٩٨ .

(٢) الخرائطي في مكارم الأخلاق عن عائشة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٠) ، وانظر تحفة العروس : صـ٢٩٨ .

خطر ترك حفظ الفرج على صلاح الإنسان

قال ﷺ : « إِنَّ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ الْأَجْوَفَانِ » ، قَالُوا يَا رَسولَ اللهِ : وَمَا الْأَجْوَفَانِ ، قَالَ : « الْفَرْجُ وَالْفَمُ قَالَ : أَتَدْرُونَ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ الجَنَّةَ تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخلقِ »[1] .

وقال ﷺ في دعائه : « اللَّهمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَقَلْبِي وَمَنِيِّي[2] »[3] .

* * *

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٤) ، وابن ماجة (٤٢٤٦) ، وأحمد (٩٤٠٣) ، وحسنه الألباني في سنن ابن ماجة (٤٢٤٦) ، وانظر تحفة العروس : صـ ٢٩٨ .

(٢) من شر منيي ؛ أي : من شر فرجي .

(٣) رواه أبو داود (١٥٥١) ، والنسائي (٥٤٤٤) ، والترمذي (٣٤٩٢) ، وأحمد (١٥١١٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٢٩٢) ، وانظر تحفة العروس : صـ ٢٩٩ .

الاستعلاء بالعفة فوق الاستجابة للغريزة الجنسية

أن التمسك بالعفة والفضيلة ، ورفض الانسياق وراء الشهوات المحرمة ، والسلوكيات الخاطئة ، والتصرفات القبيحة شرعًا وعقلًا ، من مظاهر قوة الشخصية وقوة الإرادة .

أما الاستسلام للشهوات واقتراف المحرمات لتحصيلها ، وممارسة السلوكيات المنحطة والتصرفات التي تستقبحها النفوس والعقول السليمة من مظاهر فقد الشخصية القوية وضعف العزيمة وقلة السيطرة على الإرادة .

ولهذا كانت العفة ، استعلاءًا على الشهوة ، وهو ما يحث عليه الإسلام ، فالعفة في الإسلام مطلب وأمر شرعي خاصة للعزاب عند فقد القدرة على الزواج الشرعي ، قال تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور : ٣٣] .

بل أن الاستعلاء على الغريزة الجنسية بترك الإفراط في تعاطيها من جانب المتزوج من مظاهر قوة الشخصية وسلامتها ، لئلا تنساق إلى إفراط يذهب بقواها ويؤثر على حيويتها ونشاطها ، إذ أن الاعتدال في الاستجابة للغريزة الجنسية أيضًا مطلب محمود مطلوب .

وهذا كله مما يؤكد عليه المفكرون والكتاب والمصلحون حتى في العالم الغربي : يقول الدكتور أليكس كاريل في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) : [من المعروف أن الإفراط الجنسي يعرقل النشاط العقلي ، ويبدو أن العقل يحتاج إلى وجود غدد جنسية حسنة حتى يستطيع أن يبلغ منتهى قوته] [1] .

(١) (تحفة العروس) تأليف محمود مهدي استانبولي . ط بساط بيروت ط . الرابعة صـ ٣٠ .

وفي كتاب (تحفة العروس) أو (الزواج الإسلامي السعيد) لمحمد مهدي استانبولي صـ ٣١- ٣٣ بتصرف :

[إن خير وسيلة لحفظ أجسادنا من المرض هو امتناعنا عن طلب اللذة الجنسية قبل الزواج من أية وسيلة كانت ، ومع هذا فهنالك غير هذا النفع فما هو يا ترى ؟ إن الاستسلام لكل فرصة سانحة للفعل الجنسي يفقدنا إرادتنا وشخصيتنا المبنية على قوة إرادتنا ، ومن العوامل التي تقوي الشخصية ، كما نعلم ، أن نحد من النزعات الغريزية الكثيرة ، إن الامتناع عن الاستسلام للغرائز قد يبدو صعبًا لأول وهلة ، ولكننا متى اعتدنا ذلك أصبح هينًا يسيرًا ، كما أن من يندفع مع غرائزه الجنسية الخاصة لا يرى الأشياء إلا من منظار غريزي ولذلك فالشك يلازمه في كل نقاء وصفاء ، وينطفئ فيه الشعور بما هو سام ورفيع ، ويستنكر فضيلة النساء ويتحرر من كل تقاليد المجتمع ، ثم لا يجني في النهاية إلا الملل والفراغ ، ولكن من يترفع بنفسه عن حاجات الجسد فإن حياته سَتُملأ بالمشاعر الرفيعة والإحساسات الصافية .

هذا وإن من يتزوج بعد أن عرف الكثيرات لن يستقر على حال ، فهو لن يستطيع أبدًا أن يتفهم العواطف الجياشة في صدر زوجته ، ومن هنا كان سبب الكثير من حالات الطلاق !! أما ذلك الذي يبقى طاهرًا حتى الزواج فقط تعود أن يحترم المرأة ، ويحترم شريكة حياته وأم أبنائه ويرى في الحب [1] منحة أبدية خالدة ، والمرأة أبدًا ترى في هذا الطهر عنوانًا لإخلاصه فتتعلق به وتتمسك به حتى النهاية .

ولنذكر أخيرًا أن الامتناع ضروري حتى أثناء الزواج ، فهناك أمور كثيرة

(١) أي : الحب لزوجته .

تضطرك للامتناع منها الحمل والرغبة في تطويل المدة بين الولادة والولادة وبعض الأمراض العارضة ... إلخ ... ومن تعود الامتناع قبل الزواج وتمرس به فيستطيع الحرص على مصلحة الزوجة في مثل هذه الأحوال . قد تقول لي : جميل جدًا هذا ولكن هل يمكن ذلك ؟ .. أجل ! إن الإنسان الطبيعي يستطيع أن يحفظ نفسه من الزلل حتى الزواج ، وأمثال ذلك كثيرة !... وقد تقول لي : ألا يضر الامتناع بالصحة ؟ وها أنا أجيبك عن ادعائك هذا بما يلي :

١- **يظن البعض** :أن الامتناع يسبب هزال الأعضاء التناسلية !! والحقيقة أن العكس هو الصحيح !! وليس لك إلا أن ترجع للأطباء وسترى أنهم سيقولون لك إن الآباء الذين يمارسون الفعل الجنسي على خير ما يمكن هم الذين استطاعوا التمسك بعفتهم قبل الزواج .

٢- **يقول البعض** : إن الامتناع يثير الأعضاء الجنسية ؟ والحقيقة إن التمرس بالفعل الجنسي هو الذي يثيرها ، فإن ممارسة الفعل الجنسي تجعل الأعضاء في حالة تنبه دائم ، ثم يأتي يوم لا تستطيع فيه الإرادة المقاومة ، أما الامتناع الفعلي فيهدئ ويلطف من حدة الرغبة على شرط أن تهدأ الأفكار والتصورات !

٣- **ويقول لك آخرون** : إن الامتناع يقود إلى التعود على الاستمناء باليد ، إن من المؤكد أن رفقاء السوء أو المشاهد المثيرة قد تقود بعض الشبان إلى هذا الفعل ، ومتى انقاد إليه مرة ، استسلم إليه مرات كثيرة غيرها ، لأن فقدان الإرادة يساعد على ذلك ، ولكن هناك شيئًا واحدًا تطلبناه منذ البدء ، وهو قوة الإرادة والطهر الكافيان للامتناع ، ولا ننسى أولئك الذين يتبعون النساء يقبلون أكثر من غيرهم على هذا الفعل ، وخاصة كلما تعذر عليهم إيجاد امرأة يقضون معها وطرهم ، فهم يجدون في

الاستمناء وسيلة أسهل لتصريف حاجة الجسد ، إذن من الضروري قبل كل شيء الاقتناع بأن الامتناع نافع وضروري وإلا فلن يجدي شيئًا .

٤ – يأخذون على الامتناع أنه يقود إلى أمرين خطرين :

الأول : فقدان المادة المنوية بطول الامتناع ، والحقيقة أن هذا مرض يأتي من ممارسة الفعل الجنسي الدائمة ، فليس هو إذن نتيجة الامتناع وإنما هو نتيجة الممارسة والإقبال .

الثاني : (الاستنوام) [1] أي الإفرازات التي ترافق النوم ، وهذا الاستنوام إن رافقته أحلام أولًا ، فهو وسيلة طبيعية ، يصدر فيها جهازنا العضوي الفائض عنه ، وليس فيه أي حرج ، ومن الخطر أن نفهم الفتى أن هذه الوسيلة مضرة ، لأنه خوفًا منها سيستسلم لأفكار سوداء وهذه الأفكار السوداء إذن ليست إلا خطأ الفهم .

ولننتبه إلى شيء : هو أن التفكير في النواحي الجنسية تُكْثِر من حالات الاستنوام ، وعندئذ يصبح هذا الإفراز فعلًا إراديًا غير مباشر ، وإذن فهذه النتيجة ليست من الامتناع وإنما انحطاط الروح هو المسئول .

[أما العنة التي تحدث في بعضهم فليس مصدرها الامتناع بل نتيجة الإسراف في الاستمناء باليد أو الإسراف في الفعل الجنسي] ا.هـ . من هامش تحفة العروس صـ ٣١ – ٣٣ بتصرف .

ولا يخفى علينا أن انغماس شباب الأمة في الشهوات ، وتعلقهم بسفاسف الأمور ، وانهيارهم الأخلاقي ، وذهاب العفة والحياء ، مطلب يهودي صهيوني يسعى

---

(١) أي : الاحتلام .

إليه اليهود خاصة بين المسلمين بعد أن أحرزوا نجاحًا كبيرًا في تحقيق ذلك في المجتمعات الغربية ، جاء في بروتوكولات حكماء (سفهاء) صهيون : [يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان ، فتسهل سيطرتنا ، إن فرويد [١] نحن اليهود منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق] .

ومما يعين على العفة التسامي ، والمقصود بالتسامي الاستعفاف ، وهو أن يجتهد المسلم بكل طاقته في العبادة والطاعة والدعوة إلى الله ﷻ ، وأن يكثر من الصيام الذي يكسر الشهوة ، وتذل به النفس ، فيقوى عليها المؤمن ويطوعها لله ﷻ ، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، فإذا لم يبذل العبد جهده ووقته في الطاعة والدعوة والرياضة المباحة شغلته نفسه بالباطل والمعاصي ، وقد وعد الله من سلك طريق العفة والاستعفاف بتسهيل طريق الزواج الذي يشبع فيه العبد نفسه بما شرعه الله ﷻ وأحله ، فقال تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور : ٣٣] [٢] .

يقول الشاعر :

ومن يتهيب صعود الجبال ... يعش أبد الدهر بين الحفر

ويقول آخر :

إذا لم يكنْ إلا الأسنةَ مركبٌ ... فما حيلةُ المضطرِّ إلا رُكوبها

---

(١) فرويد طبيب يهودي ، عاش في النمسا ، وروج لنظرية قوامها الدعوة للإباحية والاستجابة الجنسية بدعوى محاربة الكبت ، يريد بذلك إفساد الأخلاق ونشر الرذيلة والفساد .

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة لشيخنا أحمد فريد ط . الدار السلفية اسكندرية صـ ٢٠٩ .

ويقول آخر :

إذا كنت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

ويقول الشاعر :

ما القيد ؟ كم كسر القيود مكبل ولكم تخطى السور بعد السور

ويقول آخر والخطاب للنفس :

تريدين إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبَرِ النحل

***

أسباب
العادة السرية

إن عادة الاستمناء باليد من العادات السيئة القديمة ، يمارسها بعض الشباب غير الجاد في حياته ولكن على استحياء ، وفي خفية ، وبأعداد قليلة ، غالبيتهم من شباب فيهم المعاصي والذنوب ، ومعروفين باستهتارهم وبلادتهم وعدم استقامتهم وعدم جديتهم ، ولكن هذه العادة تحولت إلى ظاهرة تستفحل ، وزاد انتشارها بين شباب المدارس والجامعات ، وباتت تؤرق الجميع ، ولما وصلت نيرانها إلى نوعيات من الشباب ما كان يظن فيهم الانزلاق إلى تلك العادة القبيحة ، كثرت التساؤلات عن كيفية المواجهة للأمر والتخلص من أمر هذه المعصية ، وصار في مقدمة المتسائلين ، الشباب من الممارسين لها ، يتمنون يومًا يقلعون فيه عنها .

وفي الحقيقة فإن المُتأمل لأسباب زيادة انتشار هذه العادة السيئة في هذه الأيام يجد منها أسبابًا قديمة معروفة ، وأسبابًا أخرى جديدة ساهمت في تفشي هذه الظاهرة بين الشباب ، وكلما ازدادت هذه الأسباب ظهورًا ، زادت هذه الظاهرة تفشيًا وخطرًا ، مما يجعل العلاج يحتاج إلى مواجهة هذه الأسباب المتزايدة والتعامل معها سببًا سببًا .

***وإذا أردنا أن نعدد الأسباب ـ وما أكثرها ـ فإن منها أسبابًا قديمة أهمها :**

١ - الغفلة والبعد عن الله تعالى : مما يضعف الإيمان ، ويقلل الوازع الديني في النفس ، فتتهاون في أداء الواجبات المفروضة ، وتتجرأ على المحرمات الممنوعة ، وينتهي الأمر بالانزلاق إلى السفاسف والأعمال القبيحة ، ومنها طلب اللذة بالاستمناء باليد ، واعتياد ذلك ، ولهذا لا تجد اعتياد ذلك وممارسته في من يعتاد ذكر الله تعالى ومراقبته ، وقوي إيمانه بالطاعات ، وامتلأ قلبه بخشية الله تعالى ، فلا يتهاون في واجب من الواجبات ، ولا يجسر على محرم من المحرمات ، وإن سقط في معصية مرة ، سارع إلى التوبة منها ، وبادر إلى الاستغفار ، ولام نفسه عليها ، وأقلع عنها .

٢- عدم غض البصر : وهذه آفة هذا الزمان ، إذ صار الشباب - إلا من رحم ربك - لا يتورعون عن النظر ، وإدامة النظر ، إلى النساء المتبرجات في الطرقات ووسائل المواصلات وأماكن العمل وغيرها ، إما جهلًا بحرمة ذلك وخطره ، خاصة وهو لا يرى من ينكر عليه ذلك ، وينصحه بغض البصر ، بعد تفشي النظر إلى المحرمات ، وإما تهاونًا بهذه المعصية بدعوى كونها من الصغائر اليسيرة ، أو لضعف الإيمان وتملك شهوة النظر من النفس ، وبتكرار النظر تمتلأ النفس تطلعًا إلى تصريف الشهوة التي تتقد فيها بالنظر ، بلمس أو غيره ، أو بهذه العادة السيئة ، وصدق الشاعر إذ يقول :

كل الحـوادث مبدؤهـا النـظر ومعظم النار من مستصغر الشـرر

ويقول شوقي :

نـظـرة فابتسـامـة فسـلام فكـلام فمـوعد فلقـاء

لذا قيل : الصبر على غض البصر أهون من الصبر على آثار عدم الغض ، فلغض البصر يكفيك أن تغمض عينيك أو تصرف بصرك ، أما التعلق بمعشوق فهيهات هيهات أن تتخلص منه ، فأصرف بصرك عن ما على تملكه لست بقادر ، وعلى فراقه إن تعلقت به لست بصابر [1] .

٣- الاختلاط بين الجنسين : وهذه آفة الآفات أيضًا ، فلم تعد فتنة النظر وحدها تثير في الشباب شهوته ، بل ضم إليها فتنة الاختلاط بين الفتيات والفتيان ، بين

---

(١) وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

أذلني الهـوى فأنا الذليـل وليس إلى الذي أهـوى سبيل

الرجال والنساء ، في وسائل المواصلات المختلفة ، وأماكن المتنزهات المتنوعة ، وفي الجامعات والكليات ، وفي أماكن العمل الحكومية وغير الحكومية ، وما يصاحب ذلك من التعارف والمحادثة ، والتلاقي والمسامرة ، والتلامس ، والمصافحة ، والأنس بذلك ، والتطلع إليه ، وهذا يؤجج في الشباب نار الشهوة ، ويسعى إلى تصريفها بشتى الوسائل ، غير عابئ بحرمتها وضررها على دينه إلا من رحم ربك .

٤ – سهولة عادة الاستمناء : فهذه العادة ـ على ضررها ـ فإن أدائها سهل ، لا يكلف شيئًا ، ولا يستغرق وقتًا ، وتكرار أدائها ـ مع زيادة ضرره ـ ممكن ، ومما يغتر به الشباب ما لديه من قوة وعنفوان وصحة وعافية ، تؤخر من تنبهه لضرر هذا الاستمناء وتكراره عليه ، فإذا تحولت لعادة وإدمان صعب التخلص منها حتى بعد إدراكه لآثارها السيئة على بدنه ودينه إلا من رحم ربك .

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الخزي والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذة بعدها النار

٥– أصدقاء السوء : من الزملاء والأتراب في سن الشباب ، الممارسون لهذه العادة السيئة ، الذين لا يتورعون عن الجهر بممارستها ، وتعريف غيرهم بها ، ودفعهم إليها [1] ، بتزيينها لهم ، ووصفها لهم ، فيستجيب الشاب لدعوتهم ، طلبًا للذة ، أو بدافع الفضول ، أو بالتقليد الأعمى ، أو استكشافًا لفحولته ، فيهتم بما لا ينبغي أن يهتم به ، ويشغل نفسه بما يضره ولا ينفعه ، ولو رافق الصالحين وتجنب رفقة هؤلاء السيئين

---

(١) وصدق الشاعر :
ومن جعل الغراب له دليلًا ... يمر على جيف الكلاب

لجنب نفسه هذه الزلة وغيرها .

قال رسول الله ﷺ : « الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ » [1] .

يقول الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى

ويقول آخر :

يقاس المرءُ بالمرء ... إذا هو ماشاهُ

وذو العُرِّ إذا احتَكَّ ... ذا الصحة أعداهُ

العُر : الجرب ، والمعنى : الصديق يعدي صديقه كما يعدي الأجرب الصحيح .

٦- **الصحة والفراغ** : فالصحة نعمة من الله تعالى ، وفسحة الوقت نعمة من الله تعالى ، شريطة أن تكون في طاعة الله تعالى ومرضاته ، وللأسف فجيل الشباب لا يستشعر ذلك ، بل يشغل وقته ويستنزف صحته فيما يعود عليه بالضرر ، استجابة لشهوات النفس ونزواتها ، لذا كان على العاقل البصير أن يشغل نفسه دائمًا بالحق ، لئلا تشغله هي بالباطل .

وصدق الرسول ﷺ إذ قال : « نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْفَرَاغُ وَالصِّحَّةُ » [2] .

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٣) ، والترمذي (٢٣٧٨) ، وأحمد (٨٢١٢) ، وقال الألباني : حسن غريب [مشكاة المصابيح (٣٧١)] .

(٢) رواه البخاري (٦٤١٢) ، والترمذي (٢٣٠٤) ، وابن ماجة (٤١٧٠) ، والدارمي (٢٥٩١) ، وأحمد (٣١٩٧) .

ويقول الشاعر :

إن الشبـــاب والفـــراغ والجِدَة　　　مفســـدة للمـــرء أيُّ مفســـدة

والجدة : الغنى .

٧- صعوبة الزواج وارتفاع تكاليفه : وهذه مشكلة كبرى تواجه الشباب نتيجة عوامل اقتصادية متشابكة ، من البطالة وقلة فرص العمل ، وأزمة الإسكان ، وارتفاع الأسعار ، وزيادة الكثافة السكانية بانحصار السكان في شريط ضيق من الأرض ، إلى غير ذلك من الأسباب .

ولا شك أن الزواج ضروري للشباب ، وهو في الإسلام المصرف الشرعي للغريزة الجنسية ، والصورة المطلوبة للعلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمع الفاضل .

وللأسف فالشباب يعاني من صعوبة الزواج ، وكلما طالت سنين معاناته زادت شهوته ، وقلت مقاومته ، وربما انساق للمتع المحرمة ، ومنها الاستمناء باليد ، ويزيد من حجم المعاناة ما يقع من أُسر الفتيات من المبالغة في المهور ، وزيادة تكاليف الزواج وإعداد مسكن الزوجية على الشاب الراغب في الزواج بصورة مرهقة تضع العقبات والعوائق في طريق الشباب .

إن تأخير الزواج يصادم الفطرة وما يجب أن يكون عليه المجتمع الإنساني ، وآثاره السيئة تكتوي بنارها كل الأسر ، إن اعتياد تأخير الزواج واعتبار ذلك أمرًا عاديًا بل واعتبار التبكير بالزواج أمرًا شاذًا من مظاهر التأثر بالمجتمعات الغربية ، إذ تأخير الزواج وتعسيره ينتهي إلى هتك الأعراض واختفاء الفضيلة باسم الحضارة والمدنية ، ويسبب أثارًا صحية وتناسلية ونفسية واجتماعية عديدة ، أشارت إليها دراسات عديدة أظهرت الفروق الكبيرة بين مبكرات الزواج ومتأخرات الزواج ، وقد بدأت

المجتمعات الإسلامية تعاني من مشكلة (العنوسة) للفتيات ، حتى تكاد تعتبر مشكلة فتاة هذا العصر بسبب تأخير الزواج للدراسة أو الوظيفة أو تعنت الأهل في مطالب زواجها .

٨- التفسخ الأخلاقي في المجتمع :

ففي غياب التمسك بالدين ، والالتزام بأخلاقه ، والعمل بآدابه ، يضعف الحياء ، وتنهار الأخلاق ، ويُجهر بالمعصية ، وتنتشر الفواحش ، وتقترف الموبقات ، وينساق الشباب وراء الملذات ، وفي هذا المناخ المشحون بالفساد والذنوب ، تكون عادة الاستمناء باليد في نظر الكثيرين من الشباب أمرًا لا حرج فيه ، وفعلة لا تستحق العتاب والتأنيب ، فيستهان بها ، ويتجرأ عليها ، ولا يأبه لنصح ناصح وإرشاد مرشد ، ولو انصلح المجتمع وعظمت أخلاقياته وقوى خلق الحياء فيه ، وعرف أفراده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لكل مسلم ، ما كان ما كان .

* وقد شهدت أجيالنا الجديدة من الشباب في العقود الأخيرة تداعيات وتغيرات أضافت إلى ما ذكرناه من الأسباب السابقة أسبابًا جديدة أدت إلى تفاقم الظاهرة ، ومنها :

١- إثارة وسائل الإعلام المختلفة للشهوات : فلقد تمادت وسائل إعلامنا المكتوبة والمقروءة ، المرئية والمسموعة ، في إثارة الشباب وتهييج عوامل الرغبة فيهم ، من موسيقى مثيرة وأغاني خليعة ، وأفلام وتمثيليات مليئة بالمتبرجات والكاسيات العاريات ، والصور المثيرة والروايات المخلة ، لقد أصبح من العسير على الشاب أن ينجو من أيدي أخطبوط الإعلام بأذرعه المختلفة ، ولا فكاك له من سطوتها ، ولم تعد تجدي صرخات المستغيثين ، وتوسلات المربين ، وتحذيرات المصلحين ، إذ صار

الإعلام تجارة ، قوامها الإثارة ، واستغلال المرأة كمادة أساسية لتحقيق ذلك ، وإن تسبب الافتتان بها في إفساد الشباب وإضاعته في بحر الشهوات والفجور .

٢ – افتقاد النشئ التربية السليمة :

لقد تميزت المجتمعات الإسلامية عبر القرون الطويلة الماضية بالاهتمام البالغ بتربية الأبناء تربية إسلامية صحيحة ، والتربية الإسلامية الصحيحة تورث في الأبناء النظرة الجادة للحياة ، وتعودهم على استثمار أوقاتهم فيما يجدي ، وتنمي فيهم روح المثابرة وحب العلم والتمسك بالأخلاق والفضيلة ، وتؤصل فيهم صفة الحياء .

فتجد الطفل من صغره يتمتع برعاية الأم الدائمة وحنوها ومتابعة الأب اليقظة والواعية ، يحفظ القرآن كله أو بعضه منذ نعومة أظافره ، يعلم الطهارة والصلاة من قبل البلوغ بسنين ، يؤمر بها ، بل ويضرب على تركها ، ويدرب على العبادات والطاعات وحسن الأخلاق قبل أن تتفتح عيونه على أحوال الحياة ، بالإضافة إلى آداب الاستئذان وستر العورات ، وتعظيم الحرمات ... إلخ ، فإذا خالط الابن رفقائه ، لم يقصر مربوه في توجيهه وإرشاده إلى حسن تخير الأصدقاء وتحذيره من رفقاء السوء .

ولا يخفى ما في هذه التربية من حسن التنشئة ، ليخرج الطفل من صغره جادًا ، له همة عالية ، على خلق وصلاح ، متجنب للمعاصي والذنوب ما استطاع ، ولهذا امتازت المجتمعات الإسلامية بحفاظها على القيم والأخلاق والصلاح ، وترابط أفراد المجتمع وتماسكهم ، قوي المجتمع أو ضعف ، فكانت مضرب الأمثال في الأمن والأمان وحفظ العورات وتجنب المنكرات الظاهرة والاجتراء عليها وارتكابها أمام الناس ، وإلا تعرض فاعلها للعتاب والذم ونظرات الازدراء من الجميع . أما اليوم فنرى تغيرات كبيرة وخطيرة في تعهد الآباء والأمهات للأبناء ، وكلما ظهر جيل تعرض

لمزيد من الإهمال التربوي والانشغال عن التربية الإسلامية الصحيحة ، غفلة عنها ، أو جهلًا بها ، أو إعراضًا عنها !!! وهذا ظاهر لا يجادل فيه مجادل ، وآثار ذلك السلبية كثيرة واضحة لكل ذي عينين .

فماذا تنتظر من شباب لا يحفظ القرآن الكريم ولا يعرف كيف يتلوه ويجوده ، وماذا تنتظر من شباب لا يعرف هدي النبي ﷺ وسنته ، ولا يتمسك بها ، بل ينصرف عنها إلى تقليد نجوم المجتمع من أهل الفن والغناء والرقص وكرة القدم ... إلخ ، وماذا تنتظر من شباب لا يعرف آداب الإسلام الراقية في السلوك والمعاملة للآخرين ، وذهب الحياء كله أو بعضه ، فعم التبرج وكشف العورات ، وكان التساهل في اختلاط الرجال بالنساء ، اختلاط لا تقيده موانع أو حدود ، حتى صار انفراد الرجل بأجنبية عنه في خلوة داخل أماكن العمل ، في سفر أو حضر ، ليس بمستنكر إلا على استحياء !!!

وازداد الأمر سوءًا بتقبل الناس ما عليه الإعلام من فساد أخلاقي ، حتى صار تداول شرائط الأفلام الإباحية والأغاني الخليعة والمجلات الفاضحة والقصص الماجنة ميسور متاح لكل راغب فيها يحصل عليها من المحلات العامة ومن الباعة على الأرصفة .

٣- تقلص دور المربين والعلماء :

لقد كان لعلماء الأمة وأئمة مساجدها في الأزمان الماضية دورًا بالغ التأثير في تربية النشئ وتعليمهم أحكام دينهم ، والمساهمة في حل مشكلاتهم التربوية ، ولقد كان للمربين من المعلمين في دور التعليم كذلك دورًا ملموسًا في تربية النشئ لما كانوا عليه من العلم والعمل والخلق بدرجة تجعلهم قدوة ظاهرة مؤثرة في حياة الأبناء ، لقد كان

دور علماء الأمة ومربيها مكمل لدور البيت أو مجبر لنقصه ، أما اليوم فقد تقلص هذا الدور تقلصًا كبيرًا يكاد يكون معه تأثيره السابق معدومًا .

فالمساجد خاوية ، إلا في صلاة الجمعة ، ودروس العلم قليلة غير مشهودة ، والمعلمون تنقصهم الكفاءة العلمية والعملية التربوية على الوجه المطلوب ، تجعلهم يفقدون منزلتهم كقدوة مؤثرة في حياة أبنائهم من الطلاب ، والمحصلة افتقاد الوسائل المؤثرة في تربية النشىء ، واهتزت بافتقادها قيم وأخلاقيات الشباب ، وازداد بذلك انزلاقهم في المعاصي والشهوات ، والإدمان والمخدرات ، ومخالفة أوامر الدين وأخلاقياته .

يقول الشاعر :

قد ينفع الأدب الأطفال في صغر   وليس ينفع عند الشيبة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت   ولن تلين إذا قومتها الخُشُبُ

ويقول آخر :

إذا المــرء أعيـته المرؤة نـاشئـًا   فمـطلبهـا كهــلًا عــليه عـسير

*ومما يؤسف له أن نرى بعض المتزوجين يسقطون في هوة ممارسة تلك العادة القبيحة كما يسقط غيرهم في غيرها من الانحرافات الجنسية بعد الزواج ، ولهذا أيضًا أسباب خاصة في استحكام الخلافات الزوجية بين الزوجين ، أو تعرض الأزواج لبعض الإهمال من الزوجات لظروف العمل خارج البيت أو الانشغال بتربية الأولاد ، ويساعد على اقتراف الأزواج لذلك :

١ – **اعتياد العادة السرية قبل الزواج** : فيعود إليها الزوج بحكم كونها عادة كان يتلذذ بها من قبل ، أو ظنًا أنه تعوضه عن انصراف الزوجة عنه بالانشغال بالأبناء .

٢- ازدياد وسائل الإثارة في المجتمع بصورة فاقت كل حد : وجعلت شباب المجتمع ورجاله تحت إثارة دائمة وشهوة مستعرة ، فيلجأ المتزوج إلى تلك العادة القبيحة يظنها تصرف شهواته بأقل معصية ممكنة حال انصراف الزوجة عنه .

٣- تقييد التعدد للزوجات : فلا يجد بعض ممن يحتاج إلى هذا التعدد لظروفه الخاصة إلا الاستسلام لهذه العادة جهلًا وغفلة .

٤- صعوبة الزواج للأرمل والمطلق :

ففي ظل تغير فكر المجتمع وتأثره بالنظرة الغربية للحياة ، بات التزوج من الرجل الأرمل الذي ماتت زوجته خاصة إن كان معه عدد من الأولاد الصغار أمرًا صعبًا ، وبات التزوج من الرجل المطلق الذي تعذرت حياته مع زوجته السابقة أمرًا مرفوضًا ، ولقد كان مثل هذا الأمر مستساغًا لا ريبة فيه في الأزمان السابقة .

ويزيد أيضًا من تقليل فرص المطلق والأرمل الذي معه أولاد صغار عدم إمكانية الإقدام على الزواج في ظل زيادة تكاليف الحياة وازدياد الأزمات الاقتصادية .

***

كيفية التخلص
من
العادة السرية

التوبة من الاستمناء

ما أسهل التوبة على من وفق إليها فهي إقلاع عن الذنب بامتناع الجوارح عنه ، وندم من القلب على ما فات ، وعزم على عدم العودة له ، مع طلب للمغفرة باللسان ، فَيُغْفَرُ للعبد كل ما سبق ، وينال بذلك رضا الله تعالى عنه :

روى مسلم في صحيحه عن الرسول ﷺ قال : « للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ »[1] .

ولما كان البشر غير معصومين ويقع منهم الخطأ والذنوب ، كان من صفات المتقين المسارعة حال الذنب إلى التوبة ، والفرار إلى مغفرة الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهمْ يَعْلَمونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣- ١٣٦] .

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٩) ، ومسلم (٢٧٤٧) واللفظ له ، وأحمد (١٢٨١٥) .

دعني أنوح على نفسي وأندبها وأقطع الدهر بالتذكار والحزن
دعني أمسح دموعًا لا انقطاع لها فهل عسى عبرة منها تخلصني

إن مواجهة العادة السرية للقضاء عليها ، وإضعاف انتشارها ، والحد من أضرارها تحتاج جهودًا عديدة فردية وجماعية ، ويتطلب تضافر الهمم في أفراد المجتمع كبارًا وصغارًا ، من العلماء والمربين والآباء والأمهات والشباب ، لاستئصال هذه العادة القبيحة من جذورها .

إن التصدي لمعالجة الشهوات المتفشية عامة ـ والعادة السرية خاصة ـ ينقسم إلى اتخاذ وسائل سلبية تبذل الجهود لحفز الهمم على تركها والانصراف عنها ، وإلى وسائل إيجابية تبذل الجهود لحفز الهمم على أدائها والتمسك بها ، ومن مجموع تقليل الآثار الضارة لهذه الوسائل السلبية واستثمار الآثار النافعة لهذه الوسائل الإيجابية يخطو المجتمع خطوات طيبة في طريق التخلص من هذه العادة السيئة خاصة ومن الاستجابة للشهوات المحرمة عامة .

* **فالمنهج الإسلامي في معالجة مشاكل المجتمع يقوم على شقين :**

١-سد المنافذ الموصلة إلى ارتكاب الأمور المنهي عنها شرعًا [١] .

٢-التنبيه على السبل المعينة على تحقيق الأمور المأمور بها شرعًا [٢] .

ويُعد القيام بالشق الأول منهما هو الأهم ، إذ يسد الذرائع إلى ارتكاب

---

(١) ومنها في باب القضاء على الشهوات الجنسية : غض البصر ومنع لمس الأجنبية والخلوة بها ومنع التبرج والمخالطة بين الجنسين ... إلخ .

(٢) ومنها هنا : الأمر بالزواج ، والمداومة على الصيام ، وشغل النفس بالطاعات ، وطول ملازمة الصالحين وزيارة القبور ... إلخ .

المحرمات ، لذا قال العلماء : التخلي قبل التحلي ، فالتخلي عن الرذائل يكون قبل التحلي بالفضائل ، وإلا لم تحقق النفس زكاتها وطهارتها إن اكتسبت فضائل طيبة وما زالت فيها رذائل سيئة ، وما نال سلفنا الصالح ما نالوا من المكانة والفضيلة إلا لكونهم أبعد الناس عن الحرام والمنهيات ، وفي الحديث : « **مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ** »[1] .

***

(١) رواه البخاري (٧٢٨٨) ، ومسلم (١٣٣٧) واللفظ له ، والنسائي (٢٦١٩) ، وابن ماجة (٢) ، وأحمد (٨٤٥٠) .

*** أولًا : الوسائل السلبية :**

وعلى ذلك فنبدأ بذكر الأمور الواجب تجنبها والابتعاد عنها والنفور غاية النفور من كل ما يؤدي إليها وهي ما نسميها بالوسائل السلبية ، ومن أهمها :

(١) تجنب إطلاق النظر إلى المحرمات من النساء : فغض البصر من أهم آداب الإسلام الاجتماعية والتي تميز الرجل المسلم والشاب المسلم ، فالمسلم يقر بحرمة النظر للنساء خاصة المتبرجات ، وينفذ ذلك ما استطاع عمليًا ، رغم ما يجده من مشقة شديدة في زماننا الحاضر في العمل بهذا الأدب الإسلامي الرفيع ، ولا يعبأ بمن يستحل إطلاق النظر للنساء ويتمادى فيه ، فإذا قطع بصره عن الحرام انقطعت أهم السبل إلى إثارة النفس وتوارد الخواطر المحرمة عليها ، فالنظر بريد الزنا كما قيل فيه .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور : ٣٠] .

فأمر تعالى كل المؤمنين على العموم بلا استثناء بغض البصر وحفظ الفرج عن المحرمات ، وأخبر تعالى أن هذا الغض للبصر وهذا الحفظ للفرج طريق الطهارة والزكاة للعبد ، وبطهارة أفراد المجتمع يأمن الناس على أعراضهم وأنسابهم وينال المجتمع رضا الله ومحبته .

وقد اختتم الله تعالى الآية بالتهديد لكل من تحدثه نفسه وتدفعه إلى مخالفة أمر الله تعالى ببيان أنه سبحانه خبير بما يصنعون لا يخفى عليه من أعمالهم شيء فهو ﷻ يعلم معصية العبد في السر والعلن ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وهو ﷻ سيحاسب عباده ويجازيهم على ذلك كله يوم القيامة ، فمن يعمل مثقال ذرة خير يره ومن يعمل مثقال ذرة شر يره . نسأل الله تعالى العفو والعافية .

أخرج أبو داود والترمذي وحسنه عن بريدة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ : « يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ »[1] .

وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال : سَأَلْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ عَنْ نَظْرَةِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي[2] .

ومن تمام غض البصر الابتعاد عن أماكن المحرمات والاختلاط بالنساء والعري وترك مشاهدة وسائل الإعلام المرئية التي تطالع الناس بالنساء المتبرجات والكاسيات العاريات .

روى مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنْ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ »[3] .

قال النووي رحمه الله : [معنى الحديث : أن ابن آدم قدر عليه نصيب من الزنا ، فمنهم من يكون زناه حقيقيًا ، بإدخال الفرج في الفرج الحرام ، ومنهم من يكون زناه مجازًا ، بالنظر الحرام ، أو الاستماع إلى الزنا وما يتعلق بتحصيله ، أو بالمس باليد ، بأن يمس أجنبية بيده أو يقبلها ، أو بالمشي بالرجل إلى الزنا ، أو النظر أو اللمس أو الحديث الحرام مع أجنبية ، ونحو ذلك ، أو بالفكر بالقلب ، فكل هذه أنواع من الزنا المجازي ،

---

(١) رواه أبو داود (٢١٤٩) ، والترمذي (٢٧٧٧) ، وأحمد (٢٢٥١٢) ، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (٧٩٥٣) .

(٢) رواه مسلم (٢١٥٩) ، وأبو داود (٢١٤٨) ، والترمذي (٢٧٧٦) ، وأحمد (١٨٦٧٩) ، والدارمي (٢٥٢٩) .

(٣) رواه البخاري (٦٢٤٣) ، ومسلم (٢٦٥٧) واللفظ له ، وأبو داود (٢١٥٢) ، وأحمد (٢٧٤٣٠) .

والفرج يصدق ذلك أو يكذبه معناه : أنه قد يحقق الزنا بالفرج وقد لا يحققه ، بأن لا يولج الفرج في الفرج ، وإن قارب ذلك ، والله أعلم] ا.هـ .

وحفظ الفرج يكون بغض البصر ، وحفظ الفرج يدخل الجنة :

أخرج الإمام أحمد والحاكم وابن حبان وصححه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ** »(1) .

وعند البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا : « **مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ** »(2) .

ما بين اللحيين : اللسان ، ما بين الرجلين : الفرج .

والمعنى : أن من حفظ لسانه وفرجه دخل الجنة .

(٢) تجنب وسائل الإعلام المرئية والمسموعة :

فلقد صار همَّ وسائل الإعلام في زماننا مخاطبة الغرائز المهيجة للشهوات ، دون مراعاة لآثار ذلك السلبية على شبابنا وفتياتنا المتطلعين إلى الصلاح والعفة ، فالأفلام المثيرة ، والمسرحيات الخليعة ، والمسلسلات العاطفية ، والبرامج المستضيفة لنجوم الخلاعة والمجون ، والأغاني والرقصات مع الموسيقى الصاخبة ، كلها تجر إلى طريق واحد ، وغاية واحدة ، أرادتها وسائل الإعلام تلك أم لم تردها ، كانت تسعى إليها أو لم تكن ، ألا وهي تهييج الشهوات ، ودفع نفوس الشباب دفعًا إلى اقتطاف ما

---

(١) رواه أحمد (٢٢٢٥١) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٠١) .

(٢) رواه البخاري (٦٤٧٤) ، والترمذي (٢٤٠٨) ، وأحمد (٢٢٣١٦) ، ومالك (١٨٥٤) .

تقدر عليها من الشهوات والمعاصي ، لإرضاء قليل من كثير من عواطفها المثارة مِنْ قِبَل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة .

ولا شك أن للتلفاز والمذياع ـ وقد صار لا يخلو من وجودهما بيت ـ دورًا كبيرًا في تربية النشىء ، لقد صار دورهما يفوق دور الوالدين والمدرسة وعلماء الدين في ظل تقلص دور هؤلاء في حياة النشئ كما أشرنا .

(٣) تجنب وسائل الإعلام المكتوبة والمصورة :

فلم تعد الصحف والمجلات المكتوبة والمصورة إلا وسائل إغراء وإثارة بنشر صور النساء في قمة تبرجهن ، وكتابة القصص والمقالات والطرائف المخاطبة للعواطف ، ونشر الإعلانات المثيرة ، والحوادث الملفتة ، وأخبار الفنانين والفنانات ، بغرض الاستحواذ على قلوب وعواطف الملايين من القراء ، ولا تعبأ هذه الصحف والمجلات بما يصحب ذلك من نشر للرذيلة وتهييج للشهوات ، وأصبح لا مجال لأحد يريد أن يستقي بعض المعلومات أو الأخبار الهامة إلا بالمرور على هذا السيل الدافق من المفاتن المغرية والسلوكيات المتردية .

(٤) تجنب الاختلاط بين الجنسين :

فينبغي عدم التساهل في أمر الاختلاط ، وذلك بدعوة الجميع إلى المساهمة في مراعاة الفصل بين الرجال والنساء ما أمكن ، خاصة في وسائل المواصلات المكتظة بالركاب ، وفي المدارس خاصة الثانوية والإعدادية منها ، وفي الكليات والمعاهد .

لقد صار الاختلاط بين الجنسين أمر هين في المجتمع ، لا يلتفت إليه ، ولا يأبه به ، فباسم التعليم تختلط الفتيات والشبان في دور العلم ، وباسم العمل يختلط الرجال والنساء مخالطة دائمة يومية بين نفس الأفراد لشهور وسنين في أماكن العمل الحكومية

وغير الحكومية ، ويختلط الرجال والنساء في المواصلات أوقات الذروة في التوجه إلى العمل والعودة منه .

ورغم المعاناة التي يعانيها الشباب من جراء ذلك وكذلك معاناة الفتيات خاصة في وسائل المواصلات بمشاكلها العديدة ، فإن أفراد المجتمع والقائمين عليه لا يتخذون أي إجراءات جادة تنظيمية تخفف من المعاناة والأضرار الناجمة عن هذا الاختلاط دينيًا ودنيويًا .

ولا يملك الشاب الباحث عن العفة ، المحافظ على دينه ، الغاض لبصره ، المتجنب لفتنة النساء إلا أن يسعى بنفسه سعيًا جادًا لاتخاذ التدابير والوسائل الكفيلة بتجنيبه أضرار تلك الفتنة السائدة في المجتمع ، وهذا هو الواجب عليه وإن كلفه الكثير أو ضيع عليه أمورًا دنيوية ثانوية ما دام يحرص على سلامة دينه وآخرته .

كما يجب عليه أيضًا تجنب ملازمة الأماكن التي تعج بهذا الاختلاط إلا في حدود الحاجة وبقدر ما ينال احتياجاته منها كالأسواق وأماكن العمل التي فيها اختلاط .

وهناك أماكن لا يرتادها البتة إلا إذا كانت خالية من النساء كشواطئ البحر وصالات الأفراح والحدائق العامة والمتنزهات ، ولا نعني بذلك الوحدة والعزلة والانفراد ، ولكن المراد حفظ النفس عن الحرام ما أمكن ، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا .

(٥) تجنب لمس النساء والخلوة بهن :

فالتساهل في مصافحة الأجنبيات من غير المحارم ، والخلوة بهن ، صار من الأمور الشائعة بين الناس ، فتتكرر كثيرًا في حياتنا الاجتماعية بلا نكير ، فهذا مدرس

مع تلميذته في بيتها أو بيته يخلو بها لدرس خصوصي في مادة دراسية ، وهذه سكرتيرة مع رئيسها في العمل في مكتبه ، وهذه طالبة دراسات عليا مع المشرف على رسالتها ، وهذه طالبة مسافرة وحدها في بلاد الغرب لنيل درجة علمية في دراستها ، يخلو بها الرجال لمناسبات شتى ... إلخ ، والجميع يرى ... ولا يحرك ساكنًا أو ينكر منكرًا ، ونسمع بين الحين والحين عن تجاوزات لا أخلاقية من جراء ذلك تحت مسمى (التحرش بالنساء) ، والواجب أن يسعى المسئولون عن هذا المجتمع إلى وضع الضوابط والقيود التي تمنع هذه الخلوة بين امرأة وأجنبي عنها حماية للأعراض وصيانة لأخلاق وعفة الشباب والرجال ، وما أسهل ذلك إن توفرت الهمم لتحقيقه والعزائم الصادقة والغيرة الحقيقية على الأعراض ... ولكن !!

وعلى الشاب الذي يريد العفة لنفسه أن يمنع نفسه منعًا تامًا من الخلوة بأجنبية ، فما اختلى رجل بامرأة ـ أو شاب بفتاة ـ إلا زاد الشيطان من وسوسته لهما ، ليجعل بينهما أي رابطة عاطفية قوية أو ضعيفة .

وعلى الشاب الذي يريد العفة لنفسه أيضًا تجنب المصافحة للنساء ولمسهن إذ لا يجوز ذلك شرعًا ، تجنبا لإثارة لشهوةٍ قد تقع بذلك تؤثر على دينه وآخرته .

(٦) تجنب التفكر في الأمور الجنسية :

فإذا كانت أحلام اليقظة مضيعة لوقت الشاب ، فإن التفكر في الأمور الجنسية ، والاستجابة لتوارد الخواطر على النفس بذلك ، تضيف إلى مضيعة الوقت إثارة الشهوة في النفس ، وبالتالي تقوية الرغبة في النساء والميل لهن ، في حياة شاب يبدأ حياته في تحصيل ما ييسر له الاكتساب والزواج بعد سنوات ، فما تفيده لذة عابرة بهذا التفكر المحرم ، وتوارد الخواطر والصور المحرمة على الذهن تبقى آثارها في صورة

لهيب رغبة في النفس لا تجد لها مصرفًا ، وربما تستعر فإذا صارت عارمة أحرقت وأتلفت ، أو دفعت إلى ارتكاب سلوكيات غير مهذبة أو أعمال غير لائقة ، أو دفعت إلى ارتكاب الرذيلة دفعًا .

إن التفكر داء ، يتملك الشاب بدعوى التلذذ بذلك ، فما أن ينفرد الشاب بنفسه خاصة ليلًا ، إلا تاقت نفسه ـ بالاعتياد ـ على مراجعة ما رأته عيناه من صور النساء ومشاهد التبرج ، ويتصور نفسه حال المواقعة ومقدماتها ، وهو يراقب ويستشعر ما يتملكه من لذة بذلك ويطول الأمر ويطول ، ولا يخلو من إمذاء ، وينتهي بالاستمناء ، ويالها من مضيعة لوقت كان أولى أن ينصرف في طاعة من قيام ليل أو قراءة قرآن أو نوم مبكر لإدراك صلاة الفجر في المسجد في جماعة ، بدلًا من شهوة عابرة يتبعها ندم يطول وذنب يؤاخذ عليه وتفويت لصلاة جماعة بنوم متأخر أو التأخر عن الصلاة لغسل ونحوه ...

(٧) تجنب أصدقاء السوء :

فكثير من الأضرار والعادات السيئة منشؤها ومبدؤها من رفقاء السوء ، يعلِّمون الشاب ما لا يعرفه من الرذائل ، ويمارسونها أمامه ، أو يخبرونه بكيفية ممارستها ، والحصول عليها ، والوصول إليها ، ويشجعونه عليها يزينوها له ، ويسألونه عن نتائج فعله لها ومشاعره نحوها ، وهكذا لا يتركونه حتى وقد صار من الممارسين المدمنين لتلك الرذيلة ، بل ومن الناشرين لها .

وكم من جرائم وحوادث كان رفقاء السوء هم السبب الأول في وقوعها والدفع إليها ، والشاب بطبيعته يحتاج إلى مصادقة من في مثل سنه وطريقة تفكيره ونظرته للحياة ، لذا فأقرب الناس إليه أترابه ورفقاء الدراسة والشبان من جيرانه

وأقاربه ، يصطحبهم ويصطحبونه في حله وترحاله ، ذهابه وإيابه ، ويجد المشقة كل المشقة في اجتنابهم أو الانعزال عنهم .

وكثير من الشباب تعلموا العادة السرية من شبان في مثل سنهم ، وتعرضوا لتزيين وتشجيع على اقتراف تلك الرذيلة حتى أدمونها ، وقل مثل ذلك في عادة تدخين السجائر ، وتعاطي أنواع من المخدرات ، ومطالعة الصور والمجلات والقصص الفاضحة ... إلخ .

(٨) نبذ حياة الترف والدعة والكسل والخمول :

فالرذائل عامة والعادات السيئة كلها إنما هي مرتبطة بحياة الترف والغنى ، وأصحاب الدعة والكسل ، والنفوس الخاملة الوضيعة ، التي لا تتوق إلا إلى سفاسف الأمور وتوافهها .

ولذلك لا تجد أبدًا شابًا جادًا ملتزمًا يعرف العمل وحسن استغلال الوقت وتمتلأ نفسه بالنشاط والهمة وله أهداف كبيرة وتطلعات عظيمة وآمال وغايات عديدة يرضى لنفسه أن تضيع وقتها وجهدها وصحتها فيما لا يعود عليها بالنفع الدنيوي أو الأخروي ، أو أن تسترسل في الشهوات والللذات العابرة التي تورث حسرة وندامة ، أو يصادق التالفين الهالكين الخاوين التائهين المتحيرين ، السالكين لمسالك الغواية والضلال .

*** ثانيًا : الوسائل الإيجابية :**

ويشترط لتحقيق آثارها ، وإدراك منافعها في حياة الشباب ، تجنب السلبيات التي أشرنا إليها في الوسائل السلبية أولًا ، وإلا فبقاء التعرض للفتن المثيرة واقتراف المعاصي الكثيرة لا يجدي معها اتخاذ الوسائل الإيجابية التالية الجدوى المرادة ، وإذا كان

ظاهر الوسائل الإيجابية أنها تحتاج بذل جهد وتقديم عمل ، لكن تحصيلها أهون على النفس من تجنب المغريات والمثيرات ، إذ أن مقاومة الشهوات واللذات أشق من إضافة طاعة إلى الطاعات اليومية ، ومشقة الطاعة بإلزام النفس بها أخف من مشقة فطم النفس عن المعصية خاصة المعتاد عليها .

ومن القواعد الفقهية : (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) فدرء المفاسد السلبية التي ذكرنا مقدم على جلب المصالح الإيجابية التي سنذكرها ، وجميعها مطلوب مراد ، فبمجموع السعيين تتحقق الفائدة المطلوبة وتكتمل .

(١) الاهتمام بالتربية الصحيحة للنشء :

إن الذي أدى إلى الانحطاط الأخلاقي والسلوكي للشباب مرجعه إلى تقصير المجتمع ككل في حسن تربية النشء وإعداده ، فقد ضعف دور الوالدين ، وتقلص دور المعلمين ، وغاب دور الدعاة المربين ، وافتقد الشباب القدوة الحسنة والتوجيه السديد ، فهو لا يحفظ من القرآن شيئًا ، ولا يعلم من سنة النبي ﷺ ما يحتاجه ، ولا يتمسك بهدي السلف الصالح وسيرتهم ، ولا ينشأ على الطاعات من الصغر ، ولا يجد من يرشده إلى أحكام الدين وآدابه وأخلاقه ، ولا من ينهره ويمنعه من ارتكاب القبائح والرذائل ، ولا يجد من يراقب أفعاله ويضبط أعماله ويقوم اعوجاجه ، والمحصلة فراغ وصحة ، خواء وشهوة ، ترف ودعة ، أو انغماس في كسل وخمول ، فالوالدان همهما جمع المال لتيسير حياة مادية مستقرة للأولاد ، يلبيان لهم فيها كل متطلباتهم المادية ، والمعلمون في المدارس منشغلون بأحوالهم ومتاعبهم ، والمساجد غاب دورها في حياة الشباب ، والمحصلة : شباب يرى في وسائل الإعلام ورفقاء السوء وأهل الفن والرياضة قدوته ومعلميه .

إن الواجب على كل أب أن يتحمل مسئوليته في الرعاية والتوجيه والإرشاد والمتابعة ، وعلى كل أم أن تتحمل مسئوليتها في رعاية الأبناء وتنشئتهم على الأخلاق الفاضلة ، وتعويدهم على الطاعات من صلاة وصيام وقراءة القرآن وحفظه من الصغر ، واطلاعهم على سير الأنبياء والصالحين لتكون نبراسًا لهم ، ودفعهم إلى ارتياد المساجد ودروس العلم ومرافقة الشباب الصالح الخيِّر ، كل ذلك في صبر وحنو ، وحزم وحسم ، وتشجيع ومثابرة ، وعلاج للسلبيات والأخطاء بدون إجبار أو إكراه أو تنفير ، يقول الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا　　على ما كان عوده أبوه

كما ينبغي على الوالدين إلزام البنات بالحجاب والحشمة من الصغر ، وتنمية خلق الحياء فيهن ، وإلزامهن بآداب الإسلام وأخلاقه الرفيعة ، وإبعاد الأبناء عن كل المثيرات التي تخاطب الغرائز والشهوات .

أما المعلمون فواجبهم كبير ورسالتهم عظيمة فليحرصوا على أدائها ويقدموها على غيرها من أعباء الحياة فهي أمانة وأي أمانة .

وأما الدعاة والعلماء فعليهم مخالطة الشباب والتودد لهم والحنو عليهم ومعايشة مشاكلهم وهمومهم والمساهمة الفعالة في حلها بالتوجيه الرشيد المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

* ولا يفوتنا أن ننصح أيضًا هنا كل شابة وفتاة خاصة في مقتبل العمر أن تساهم في حفظ شباب الأمة المسلم من الانزلاق في الشهوات بالالتزام الجاد بآداب الإسلام في الأماكن التي يمكن أن يراها فيها الشباب ومن تلك الآداب :

١- عدم التبرج والزينة ، والتزام الحجاب الإسلامي ، فإن المرأة إذا خرجت متبرجة شاركت كل من ينظر إليها في الوزر والذنب .

٢- البعد عن مخالطة الشباب ما أمكن خاصة في الأماكن المزدحمة كوسائل المواصلات .

٣- البعد عن اللين والتنعم في مخاطبة الرجال ، إذا احتاج الأمر إلى مخاطبتهم ، وإنما الواجب أن يكون الحديث مختصرًا بقدر الحاجة ، وبطريقة جادة ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب : ٣٢] .

٤- ترك مصافحة الرجال والشبان .

٥- تجنب ما حرمه الإسلام من التغيير في خلق الله تعالى ، والأخذ من شعر الحاجب ، ووصل الشعر ، والتشبه بالرجال .

٦- عدم رفع الصوت حال الكلام مع النساء الأخريات ، وتجنب الضحك بصوت مسموع في وجود الشباب .

٧- اختيار الألوان غير المبهرجة واللافتة للأنظار في الثياب والحذاء وحقيبة اليد ونحوها .

٨- تجنب ما يثير الشبهات ، كالسير في أماكن غير مطروقة ، أو في ساعات متأخرة من الليل ونحو ذلك .

٩- الإكثار من ذكر الله تعالى وقراءة القرآن من المصحف في أماكن الاختلاط ، وغض البصر عن الشبان ما أمكن .

*** تنبيه هام :**

في بعض الأحوال يكون الوقوع في عادة الاستمناء نتيجة حالة نفسية غير سوية للشاب ، حيث أن الشباب أصحاب (النزعة الانطوائية) من أكثر الشباب إدمانًا للعادة السرية ، لذا فينبغي على الوالدين والمربين التنبه إلى ذلك ومراجعة سلوكيات الشاب وتصرفاته ، فإذا كانت انعزالية فردية تدل على عدم القدرة على التأقلم مع المجتمع ، مع محاولة البعد عن مشاركة أترابه ورفاقه ، فلا يتخذ منهم الأصدقاء ، ولا يميل إلى الألعاب الرياضية الجماعية والرحلات الجماعية ونحو ذلك ، ففي هذا كله ـ أو بعضه ـ إشارة إلى حالته النفسية الانطوائية ، والتي تحتاج في الغالب إلى العرض على أخصائي نفسي لتدريبه على تغيير سلوكياته الانعزالية والانخراط مع رفاقه وشغل وقته ، فبذلك فيسهل عليه الإقلاع عن العادة السرية .

(٢) الاستعانة بالله وصدق التوجه إليه في طلب الخلاص :

فإن العباد جميعًا مفتقرون إلى الله تعالى ، وأشد الافتقار إلى الله الافتقار إلى هدايته وتوفيقه ، والله ﷻ إذا علم من العبد إخلاصه وصدق عزيمته يسر له أمره .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ [فاطر : ١٥] ، وقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، وقال تعالى : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ** ﴾ [1] [الحج : ٧٨] .

فينبغي على الشاب أن يلجأ إلى ربه ، ويفر إليه ، ويتوكل بصدق عليه ، ويلح في طلب الهداية والرشاد من الله تعالى ، فإن من أعظم المنن أن يجعله الله تعالى من

---

(١) ومن موالاته تعالى لعبده المعتصم به أن ينصره على الشيطان .

الراشدين ، فيطلب الشاب من ربه أن يرزقه التقى والعفاف والغنى ، وأن يصبره ويعينه ، ويستعيذ بالله من المعاصي والذنوب ، خاصة زنا العينين وهو النظر .

إن الإلحاح في الدعاء يحبه الله تعالى من العبد ، ويدل على عدم اليأس من نوال رحمة الله ومغفرته وهدايته ، وهذا واجب على كل مسلم ، كما أنه يجب أن يعلم أنه لا حرج على المسلم من تجديد التوبة وتكرارها ، بل هذا منه مطلوب .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه قول الرسول ﷺ له : « **احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ** » ، قَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ [١] .

يقول الشاعر :

إذا المـرء لم يركن إلى الله في الذي ... يحـاذره مـن دهره فـهو خـاسر

ويقول آخر :

منا الرجاء ومنك العفو والجودُ ... منا الدعاء ومنك الفضل ممدودُ

منك العطـايا بلا حـد ولا عـود ... وجهدنـا لأداء الشـكر محـدودُ

(٣) المداومة على ذكر الله تعالى :

فذكر الله تعالى أعظم الأسباب لطرد وسوسة الشيطان وتزيينه للمعاصي ، ولقد فرضت الصلوات الواجبة لتجعل الإنسان على حد أدنى من ذكر الله تعالى ، قال

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦) ، وأحمد (٢٦٦٤) ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (٧٩٥٧) .

تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١٤] ، وقال تعالى في شأن فضل الصلاة : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

وبجانب الصلاة فهناك من الأعمال التي ترتبط بذكر الله تعالى والصلة به الكثير ، فمنها الأذكار الموظفة في اليوم والليلة ، يتعلمها المسلم ويتفهم معانيها ودلالتها فلا تكون مجرد أذكار على اللسان ويحفظها ويداوم على ترديدها في أوقاتها المخصصة لها ، كأذكار ما بعد الاستيقاظ من النوم ، وأذكار الصباح ، وأذكار المساء ، وما يقال عند الدخول والخروج من البيت .. إلخ ، إلى جانب الأذكار المطلقة الغير مقيدة بوقت ، وكلها تساهم بشكل كبير في دفع وسوسة الشيطان وتجعل المسلم يستشعر بحق أهمية الوقت فلا يتهاون في تضييع أوقات لو جعلت في ذكر الله لنال بها من الثواب الكثير والكثير .

ومن ذلك قراءة القرآن الكريم بتخصيص ورد قراءة يومية منه يوزع على فترات اليوم ، ومن ذلك الإكثار من الدعاء والإلحاح فيه ، خاصة في أوقات الإجابة ، ومن ذلك الإكثار من الاستغفار والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وكلها أعمال يسيرة ، عظيمة الأجر ، وفوائدها على الشاب جليلة ، وللأسف فكثير من الشباب يغفل عن ذلك ويضيعه ، فيقع في غفلة يسهل على الشيطان أن يستدرجه خلالها إلى المعاصي والذنوب .

(٤) التبكير بالزواج :

الزواج في الإسلام هو العلاج الناجح والفعال لفتنة النساء ، خاصة للشباب ، لذا ورد الحث عليه ، قال تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النور : ٣٢] .

وفي الحديث : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ »(١) .

وروى أحمد مرفوعًا : « ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ »(٢) .

وقد يكون زواج الشاب مع صغر سنه يعرضه وزوجته لمتاعب مادية وتضييق ، فعليهما بتحملها والصبر عليها ، حتى يجعل الله تعالى لهما بعد العسر يسرًا ، (وكثير من الذين تزوجوا مبكرين يخبرونك عن صعوبة عيشهم في مبدأ الأمر ثم مجيء الفرج بعد ، قال تعالى : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور : ٣٢] ، على أن مما يجدر تنبيه الشباب إليه هو مسألة بذل الأسباب بقدر الطاقة ، لإنجاح الزواج ، ومواجهة المسئوليات المترتبة عليه ، فليست المسألة تحقيق رغبة عارضة ، ثم تهرب من المسئولية ، قد يؤدي بعقدة النكاح إلى هاوية الطلاق)(٣) .

(٥) تيسير الزواج للشباب والحد من تكاليفه :

مما ينبغي على المجتمع أن يساهم في تشجيع الزواج وتيسيره على الشباب ، إن تأخير الزواج إلى سن متأخر بسبب أزمة الإسكان وقلة ذات اليد وغلاء المعيشة وتدهور الأحوال الاقتصادية وكلها عقبات كبيرة أمام شاب يبدأ حياته بعد سنوات طويلة في الدراسة والتعليم ، يعقبها عادة فترة من البطالة ، أو بداية في عمل غير مجدي

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٥) ، ومسلم (١٤٠٠) واللفظ له ، وأبو داود (٢٠٤٦) ، والنسائي (٢٢٤٠) ، وابن ماجة (١٨٤٥) ، وأحمد (٣٥٨١) ، والدارمي (٢٠٧١) .

(٢) رواه النسائي (٣١٢٠) ، والترمذي (١٦٥٥) واللفظ له ، وابن ماجة (٢٥١٨) ، وأحمد (٩٣٤٨) ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٠٨) ، وانظر صحيح الجامع رقم (٣٠٥٠) .

(٣) العادة السيئة : محمد صالح المنجد . مكتبة العلم القاهرة صـ ٨ .

ماديًا ، هذه العقبات لا تتحمل أن يغالي أهل الفتاة في متطلبات زوجات ابنتهم ، مباهاة ومفاخرة ، أو مقارنة بأقرانها اللاتي وجدن زواجًا ميسرًا ، وإنما الواجب التيسير والتخفيف ، والمعاونة والمساعدة ، وتخير المساهمات الممكنة للشاب في مقتبل عمره وهو يسعى لزواج لا يرهقه ، فالتجاوز في المهور لا المغالاة فيها ، والرضا بالقليل المتاح لا الكثير المكلف ، فلا يبدأ الشاب حياته بديون ثقيلة وهموم كبيرة ، تستنزف منه السنين العديدة في سدادها وأدائها .

وعلى المربين والمصلحين تقديم الحلول الغير تقليدية لمشاكل الشباب المتعلقة بالزواج ، وعلى العلماء والدعاة حث أولياء الأمور على الاستجابة لتلك الحلول وتقديم العون الممكن لكل من يرغب في أن يعف نفسه بالحلال ، بما يعود على المجتمع ككل بالصلاح والفضيلة والذرية الطيبة .

(٦) المحافظة على الحياة الزوجية واستقرارها :

فكثير من الرجال لا ينتبهون إلى واجبهم نحو استقرار العائلة ، وكثير من النساء لا يتنبهن إلى متطلبات دورهن كزوجات في حياة أزواجهن ، إن علاقة الزواج مبنية على حدود شرعية ، وحقوق وواجبات ، وحسن معاشرة ، ومودة ورحمة ، حتى تدوم وتستمر ، وينعم في ظلالها البنات والبنين ، فحسن اختيار الزوج لزوجته وفقًا لتوجيهات الكتاب والسنة ، وحسن اختيار أهل الفتاة والفتاة لزوجها بناءًا على صلاحه ودينه ، ثم الصبر على الشريك طوال سنين الزواج ، للمحافظة على دوام العشرة والمعروف ، ولاستقرار الحياة الزوجية ، لينال جميع أفرادها سكينة وطمأنينة .

أما سوء الاختيار ، وسوء المعاشرة ، والمبالغة في الخصام والمنازعة ، والتمادي في الخصومة ، وإيثار النفس على من يرتبط بها ، والعناد في المواقف والقرارات ،

والمسارعة في الطلاق والفراق ، يوقع الجميع في شقاء وعنت ، ينعكس على العلاقة الجنسية بين الزوجين ، ويفتح بابًا للفتن يصير معها الرجل أشبه بأعزب يفتتن في دينه بفتنة النساء .

(٧) المداومة على الصيام :

الصيام عبادة عظيمة ، تحقق التقوى والصلاح ، وتقوي الإرادة والعزيمة ، وتضعف تأثير الشيطان على النفس ، وتشغل الإنسان بالجوع والعطش ، ويستشعر في نفسه طوال النهار أنه ملازم للطاعة ، ويحرص على ألا يفوته ثواب صيامه الذي صامه ، فيحتاط لنفسه ما استطاع ، ولا يأتي الصيام بتأثيره المطلوب في حياة الشاب الأعزب إلا بالمداومة عليه والمحافظة ، فالصوم وجاء ووقاية ، ولهذا رغب الشرع في الصيام للشباب إن لم يجدوا القدرة على الزواج .

قال ﷺ : « **يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ** »[١] .

يقول الألباني رحمه الله ردًا على القول بإجازة الاستمناء لمن أوشك على الوقوع في الزنا [ولا نقول بجوازه لمن خاف الوقوع في الزنا إلا إذا استعمل الطب النبوي وهو قوله ﷺ للشباب في الحديث المعروف الآمر لهم بالزواج : « **فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ** » ، ولذلك فإننا ننكر أشد الإنكار على الذين يفتون الشباب بجوازه خشية الزنا دون أن يأمروهم بهذا الطب النبوي الكريم] ا.هـ[٢] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) تمام المنة في التعليق على فقه السنة ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ط . الجماعة الإسلامية الثانية ١٤٠٨ هـ ـ صـ ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

فإن قال قائل جربنا الصيام لعدم القدرة على الزواج فلم يُفد في منع عادة الاستمناء ، ولا زلنا نواقع تلك المعصية ، فما قولكم ؟

والجواب :

إنكم لم تعملوا بذلك العلاج فترة كافية ولم تداوموا عليه مدة طويلة يظهر بعدها الأثر ، فاستعجالكم بإطلاق النتيجة بعدم الفائدة وليد قصر النَّفس في الأخذ بذلك العلاج النبوي ، أما صيام يوم أو يومين أو جعله على فترات متباعدة فقد لا يشعركم بنتائج محسوسة وقريبة ، فمهلًا وصبرًا ، فإنه ليس كلام طبيب يخطئ ويصيب ، وإنما هو كلام الصادق المصدوق المنبَّأ من عند علام الغيوب ، ثم إن الصيام مفيد على جميع الأحوال ، فهو عبادة يؤجر عليها ولو لم يجد لها أثرًا مباشرًا وسريعًا ، وأجر الصيام يمكن أن يمحو سيئات تلك الأعمال وزيادة ، وأما فائدته المتعلقة بالموضوع فهي واضحة في أن الصيام [1] يكسر الشهوة . قال ابن حجر رحمه الله : (وفي الحديث أيضًا إرشاد العاجز عن مؤن النكاح إلى الصوم لأن شهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل تقوى بقوته وتضعف بضعفه) [2] [(الفتح جـ٩ / ١١١)] .

وينبغي التنبيه أيضًا إلى أن حصول الفائدة المرجوة من هذا الصيام له شروط وموانع ، فشرطه الذي يجب تحقيقه أن يكون صيامًا يحقق التقوى ، تجتنب فيه المعاصي ، وتترك فيه المحرمات ، ليأتي بثمرته ، وأما المانع الذي يجب تركه فهو الابتعاد عن الأسباب والوسائل الدافعة إلى السقوط في الشهوة من النظر المحرم للعورات وسماع الموسيقى والغناء ومصادقة رفقاء السوء ... إلخ ، فإن تحقق الشرط وانتفى المانع جاء

---

(١) أي : الامتناع عن الطعام والشراب طوال نهار الصائم .

(٢) المصدر السابق : صـ ٤٠ ـ ٤١ .

هذا الصيام بشفائه الناجح .

(٨) المداومة على الأعمال الصالحة :

بالطاعات يقوى الإيمان ويزداد ، فإذا زاد الإيمان وقوي في النفس ، قلت الاستجابة للشيطان واتباع خطواته ، فالإيمان عاصم من كثير من الزلات ، وأحب الأعمال الصالحة أداء ما افترض الله تعالى على العبد ، يليها الأعمال المستحبة والتطوع ، وهذا باب واسع تدخل فيه كل أنواع الطاعات والعبادات المستحبة .

فينبغي على الشاب المسلم أن يتعهد إيمانه ويجدده وينميه ويقويه ، فكلما اقترب الشاب من كمال العبودية لله كلما نفرت نفسه من ارتكاب الكبائر والمعاصي .

وفي الحديث المرفوع : « **وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ** »[١] .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا : « **وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ** »[٢] ، وفي الحديث المرفوع : « **وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا** »[٣] .

إن تقوى الله تعالى ومراقبة النفس والحرص على الصلاح والهدى ، وتقوية العزيمة والإرادة ، أسباب لزيادة الإيمان ، تعين الشاب على ألا يضعف أمام الشهوة ،

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) ، وأحمد (٢٥٦٦١) ، ورواه البيهقي في الشعب ، وحسنه الألباني .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٨٧٤٧) ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٢٨) .

(٣) رواه الترمذي (١٩٨٧) ، وأحمد (٢٠٨٤٧) ، والدارمي (٢٦٧١) ، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (٩٧) .

وتجعله لا ييأس أبدًا من رحمة الله تعالى .

يقول الشاعر :

كل شيء مصيره للزوال غير ربي وصالح الأعمال

ويقول أخر :

إن كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم

وحافظ عليها بتقوى الإله فإن الإله سريع النقم

ويقول ثالث :

ألا إن تقوى الله خير بغية وأفضل زاد الظاعن المتحمل

ولا خير في طول الحياة وعيشها إذ أنت منها بالتقى لم ترحل

ويقول رابع :

ألا إن تقوى الله خير البضائع ومن لازم التقوى فليس بضائع

(٩) التمسك بآداب الإسلام وأخلاقه :

ومنها أن يستحي أن يكشف عورته لغير حاجة وإن كان خاليًا ، وأن لا يمس ذكره بيمينه ، وأن لا يبيت وحده ، وأن يؤدي السنن والأذكار عند النوم ، ويتوضأ قبله ، ويؤدي الأذكار الواردة حال الاستيقاظ من النوم ، ويقتطع جزءًا من ليله لقيام الليل ، ولا ينام على بطنه [1] .

---

(١) راجع ما ذكرناه في سنن وآداب منسية ولا خفاء أن هذه الأمور والمداومة عليها وختم اليوم بها والنوم على طهارة كاملة وقراءة آية الكرسي عند النوم كلها أمور تقود إلى ترك العادة السرية وتحفظ الإنسان من الشيطان ووسوسته ، فتأمل .

ومنها أدب الاستئذان قبل الدخول لئلا يرى ببصره ما يكره ، قال ﷺ: « إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ »(١) .

(١٠) شغل الوقت بما يفيد :

الأعمال الدنيوية والدينية النافعة كثيرة ، من أفضلها العبادات ، وطلب العلم الشرعي ، والدعوة إلى الله تعالى ، وممارسة الرياضة المقوية للبدن ، وهي يمكن أن تشغل وقت الشاب كله ، فلا يجد وقتًا ليضيعه في معصية لا تفيد .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴾ [الشرح : ٧] .

وفي الحديث قال ﷺ : « لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ »(٢) .

(١١) النظر في سير الأنبياء والصالحين :

من أعظم الوسائل المعينة على سلوك طريق الفضيلة وإن قل السائرون فيه استشعار الشاب أن هذا الطريق قد سبقه عليه كثيرون من خير العباد والصالحين ، لذا ينبغي على كل شاب أن يطيل النظر في قصص الأنبياء والرسل وسير الصالحين والمتقين ، ففيها التذكرة ، وفيها العبرة ، وفيها الصبر والسلوان ، وكثير من الشباب يتأثر بمواقف خاصة من حياة هؤلاء فتكون له نبراسًا يضيء ، إن قصة كقصة نبي الله يوسف عليه السلام وهو يتمسك بالعفة والفضيلة ويترفع عن الفاحشة والرذيلة فيها من العبر

---

(١) رواه البخاري (٦٢٤١) ، ومسلم (٢١٥٦) ، والنسائي (٤٨٥٩) ، وأحمد (٢٢٢٩٦) ، والدارمي (٢٢٧٨) ، والترمذي (٢٧٠٩) .

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٧) ، والدارمي (٥٣٦) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٣٠٠) .

ما فيها لكل شاب في كل زمان ومكان ، فقد ابتلي بامرأة العزيز ولما مهدت السبل أمامه فر من أمامها كمن يفر من موت يطارده ، ولما اجتمع النسوة عليه آثر أن يسجن سنين على أن يقترف هذا الجرم المشين ، ولقد كان شابًا جميلًا أمام نساء فاتنات مترفات يقدمن الرغبة في إصرار وهو عبد بينهم بعيدًا عن أهله وقرابته ولو استجاب لهن ما لامه أحد ولا وقع عليه من الناس حرج ، ولكنه الاستعلاء بالإيمان والعفة فوق مستنقعات الفاحشة والرذيلة ، فيا لها من عظة [1] ... وفي حياة الأنبياء والصالحين من مثل هذه الأمثلة الرفيعة الكثير .

(١٢) مرافقة الصالحين :

فالصديق مرآة صديقه ، والمرء على دين من يخالل ، والصالحون لا يشقى بهم جليسهم ، ففيهم العمل الصالح والعلم النافع ، ومنهم يكون النصح والإرشاد ، وبهم يكون الاقتداء والاهتداء ، يكاد النظر إلى المتمسكين بالسنة النبوية تمسكًا حقًا أن يكون عبادة ، لما يقع في النفس من الرغبة في إدراك منزلتهم ، ولما يملأ النفس من الهَمِّ والتطلع لذلك ، والإنسان مدني بطبعه ، يحتاج إلى مخالطة غيره ، ولا يستطيع الحياة بمفرده ، ومن الناس من يكون مخالطتهم وباء ، يصيب من يصادقه بالداء ، ومن الناس من مخالطته بمنزلة الدواء ، يؤخذ منه على قدر الاحتياج ، وفق تعاملات الشرع وحدوده ، ومن الناس من مخالطته غذاء ، يحتاج المرء إليه وليس له عنه استغناء ، وهم الصالحون المهتدون ، أصحاب العلم والعمل ، الذين يمتازون بالخيرية في أنفسهم ،

---

(١) يقول الشاعر :

أما في رسول الله يوسف أسوة ... لمثلك محبوسًا على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر في السجن برهة ... فآل به الصبر الجميل إلى الملك

وتعدى الخير منهم إلى من حولهم ، فهؤلاء البلسم الشافي ، الذي ينبغي على من خشي على نفسه الزلات أن يصحبهم ويتلقى منهم ، ويقتدي بهم ، حتى يَمُّن اللهُ عليه فيجعله واحدًا منهم .

* فائدة :

في بيان طرق تربية النفس وتهذيبها جاء في [تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين [1]] : [أن يطلب صديقًا صدوقًا بصيرًا متدينًا يلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه ينبهه عليه ، فهكذا كان يفعل الأكابر من أئمة الدين ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : « رَحِمَ اللهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيوبِي » [2] ، وكان يسأل حذيفة ويقول له : أنت صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين فهل ترى علىَّ شيئًا من آثار النفاق ؟ فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلًا وأعلى منصبًا كان أقل إعجابًا ، وأعظم اتهامًا ، وفرحًا بتنبيه غيره على عيوبه وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحًا عن ضعف الإيمان] [3] .

قلت : فإن كان هذا الصديق من العلماء الراسخين أو المربين الفاضلين ممن لهم باع بآفات الشباب وطرق علاجها فلزمه رجاء توجيهه لكان خيرًا له على خير .

(١٣) المحافظة على قيام الليل :

إن الليل بسكونه وهدوئه يختلف عن النهار بحركته وهمومه ، وهو وقت يختلي

(١) راجع تهذيب موعظة المؤمنين جـ ١ / ٧٥-٧٦ .
(٢) رواه الدارمي (٦٤٧) .
(٣) تهذيب موعظة المؤمنين جـ ٢ / ١٢ للشيخ محمد جمال الدين القاسمي . تحقيق طائفة من الجامعيين .

فيه المرء بنفسه طلبًا للراحة والاسترخاء ، ولكنه لا يخرج ـ كسائر الأوقات ـ عن كونه جزء من حياة الإنسان وعمره ، ينبغي العناية به واستغلاله في الطاعة .

وقد ورد القسم بالليل في القرآن في مواضع عديدة ، قال تعالى : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ** ﴾ [المدثر : ٣٣]، وقال تعالى : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** ﴾ [التكوير : ١٧ - ١٩]، وقال تعالى : ﴿ **وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ** ﴾ [الانشقاق : ١٧ - ١٩]، وقال تعالى : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ** ﴾ [الفجر : ٤]، وقال تعالى : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا** ﴾ [الشمس : ٤]، وقال تعالى : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى** ﴾ [الليل : ١ - ٢]، قال تعالى : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى** ﴾ [الضحى : ٢]، وفي هذا تنبيه على شرف الليل .

وقد ورد التعوذ من شر الليل فمن دعائه ﷺ: « **رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها** » [١] ، ومن دعائه ﷺ: « **وأعوذ بك من شر ما فيها وشر ما قبلها وشر ما بعدها** » [٢] .

ومعلوم عند الصالحين أن قيام الليل من مهر الحور العين الذي به يحصل له في وصلهن القبول ، وبه يزداد الإيمان واليقين ، ويقضي الليل في التقلب في الطاعات من قيام وركوع وسجود وقراءة قرآن وذكر ودعاء واستغفار بعيدًا عن الآثام والذنوب .

قال مالك بن دينار : سهوت ليلة عن وردي ، ونمت ، فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة ، فقالت لي : أتحسن تقرأ ؟ فقلت : نعم ، فدفعت إليَّ

---

(١) من حديث رواه مسلم وغيره .

(٢) من حديث رواه أبو داود ، وحسنه الألباني .

الرقعة فإذا فيها :

أألهتك اللذائذ والأماني عن البيض الأوانس في الجنان ؟
تعيش مخلدًا لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرًا من النوم التهجد بالقرآن

قال أحد الصالحين :

منع القرآن بوعده ووعيده مُقَل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت إليه تخضعا

وأنشد غيره :

يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات
إن في القبر إن نزلت به لرقادًا يطول بعد الممات
ومهادًا ممهدًا لك فيه بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من ملك المو ت وكم نال آمنًا ببيات

قال الفضل بن عياض : إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي .

وقال أبو سليمان : أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا .

ومعلوم أن الدعاء والاستغفار في الثلث الأخير من الليل مقبول ، فيدعو المبتلى بهذا الابتلاء في الثلث الأخير من الليل أن يعصمه الله تعالى من تلك الرذيلة ويعينه على ذلك .

وكما لا يخلو الليل من الطاعة ، فإن الليل أيضًا يجعله أهل الكفر والمعاصي

مرتعًا لارتكاب الفواحش والفجور ، بعيدًا عن رؤية العيون ، وتنشط الشياطين في الليل ، تجد فيه فرصتها للإضلال ، فيتلاقى شياطين الإنس والجن على هدف واحد ، لذا ورد التعوذ من الليل ومن شره في تفسير قوله تعالى في سورة الفلق ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [١] .

قال مجاهد : غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس حكاه البخاري عنه ، وكذا رواه ابن أبي نجيح ، وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والضحاك وخصيف والحسن وقتادة أنه الليل إذا أقبل بظلامه .

قال الزهري : ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ الشمس إذا غربت .

فالآية حثت على التعوذ من الليل عند دخوله .

وروى أحمد بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدَيَّ فَأَرَانِي الْقَمَرَ حِينَ طَلَعَ ، فَقَالَ : « تَعَوَّذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الْغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ » [٢] .

وتفسير (الغاسق إذا وقب) بالليل إذا ولج لا ينافي القول بأنه القمر ، لأن القمر آية الليل ، ولا يوجد له سلطان إلا فيه ، فيرجع تفسير الغاسق بالقمر إلى تفسيره بالليل ، والله أعلم .

ومما يعصم الإنسان من شرور الليل وشياطينه الأدعية والأذكار الشرعية عند دخول المساء وعند النوم والاستيقاظ منه وقد سبق ذكر شيء منها .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير رحمه الله لسورة الفلق .

(٢) رواه الترمذي (٣٣٦٦) ، وأحمد (٢٣٨٠٢) واللفظ لأحمد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٩١٦) بلفظ « يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وقب » ، وراجع تفسير ابن كثير ط . التوفيقية القاهرة جـ ٤ / ٥٧٣ .

ومن العواصم قراءة القرآن الكريم واتخاذ ورد ليلي منه ، في الحديث المرفوع :
« مَنْ قَرَأَ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ (١) » (٢) .

وقال ﷺ : « مَنْ قَرَأَ بِمِائَةِ آيَةٍ فِي لَيْلَةٍ كُتِبَ لَهُ قُنُوتُ لَيْلَةٍ » (٣) .

« وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الزُّمَرَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ (٤) » (٥) .

« وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةَ وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ » (٦) .

« وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الْمُسَبِّحَاتِ (٧) » (٨) .

« وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا

---

(١) كفتاه : أجزأتاه ، قيل : عن قيام الليل ، وقيل : من كل شيطان فلا يقربه ليلته هذه ، وقيل : من آفات تلك الليلة ، وقد يجمع بينها كلها فيقال : كفتاه من كل شر ومن كل ما يخاف ، وانظر تحفة الذاكرين للشوكاني صـ ٩٩ ، صـ ٢٣٥ .

(٢) رواه البخاري (٤٠٠٨) ، ومسلم (٨٠٧) ، وأبو داود (١٣٩٧) ، وابن ماجة (١٣٦٨) ، والدارمي (١٤٤٩) ، وأحمد (١٦٦٢٠) .

(٣) رواه أحمد (١٦٥١٠) ، والدارمي (٣٣١٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦٤٦٨) .

(٤) تسمى أيضًا سورة الإسراء ، وسورة سبحان .

(٥) رواه الترمذي (٣٤٠٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٨٧٤) .

(٦) رواه الترمذي (٢٨٩٢) ، والدارمي (٣٢٧٧) ، وأحمد (١٤٢٤٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٨٧٣) .

(٧) قيل : هي السور التي أولها سبح لله أو يسبح لله أو سبح اسم ربك ، وقيل : هي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن ، وانظر النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة للشيخ . محمد إسماعيل ط. دار طيبة الثانية صـ ٤٠ .

(٨) رواه أبو داود (٥٠٥٧) ، والترمذي (٣٤٠٦) ، وأحمد (١٦٧٠٩) ، والدارمي (٣٢٩٠) ، وحسنه الألباني في جامع الترمذي (٣٤٠٦) .

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ »[1] .

(١٤) التأمل الفكري المتعمق في جوانب المشكلة :

إن الإنسان يحتاج دائمًا أن يتأمل ويعمل فكره في جوانب حياته التي يعيشها ، ينظر في مشاكله وما يتعرض له من أحداث ، يتبين ماهيتها وكيف تسير ، وكيف ينبغي أن يكون تعامله معها ، فربما تعرف على حكمة ربانية وراء الابتلاء ، فرضي وصبر ، وربما أدرك إيجابيات غابت عنه ، أو ينجح في وضع سبل ووسائل أكثر فاعلية للتعامل مع مشكلة يواجهها يصحح بها سلبيات وقعت أو خطوات خطأ أتخذت في مواجهة مشكلة ما ، والشاب الذي ابتلي بالاستمناء ، عليه أن يراجع نفسه بنفسه ، يتأمل حاله ، ويعيد محاسبة النفس ، وكلما ازداد تأمله أدرك كثيرًا مما يغيب عنه ، فهذا المني الذي هو نعمة من الله تعالى ، ووسيلة لإنجاب النسل الصالح القوي ، كيف يهدرها في غير مكانها ، وهذه الصحة التي أعطاه الله إياها كيف يبددها فيما يضرها ويتلفها ، ولماذا لا يصبر كما صبر غيره من الصالحين ممن سبقوه عبر قرون كثيرة ، ولماذا لا يتملك نفسه ويسيطر عليها فيوجهها كيف شاء ، وفيما ينفعها ولا يضرها ، ألم يعلم أنه لا يأخذ من الدنيا إلا رزقه الذي كتب له فلماذا يتعجل في تحصيل رزق حرام وله رزق حلال ينتظره .

الصبر مثل اسمه في كل نائبةٍ   لكن عواقبه أحلى من العسل

ولينظر في أحواله اليومية فيعدلها بما يعينه على اجتناب تلك الرذيلة ، وبحسب ظروفه وقدراته ، فربما يمارس رياضة مفيدة تشغل وقته وتنمي بدنه ، وربما يرتبط

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٥٧) ، والترمذي (٣٤٠٦) ، وأحمد (١٦٧٠٩) ، والدارمي (٣٢٩٠) ، وحسنه الألباني في جامع الترمذي (٣٤٠٦) .

بمجموعة من الشباب الصالح يجتمعون على علم نافع أو حفظ القرآن الكريم ، ويعين بعضهم بعضًا في أمور الدين ، لماذا لا يتجنب وسائل المواصلات وأماكن الاختلاط ولو تحمل أن يسير على قدميه مسافات أو يخرج من بيته مبكرًا قبل زحام المواصلات ... إلخ ، وليعيد حساباته كلما فشل في التخلص من تلك العادة القبيحة ، ولا ييأس من رحمة الله ، ويذكر نفسه أنه في حرب مع الشيطان ، وأن الشيطان الذي أغوى آلاف الملايين من البشر عبر تاريخ البشر الطويل يتفنن في إثنائه عن عزيمته ، ولكن الغلبة في النهاية لا بد أن تكون للصالح المريد للخير ، وليتأمل أسباب فشله فأحيانًا تكون من تلبيس الشيطان عليه ، تارة بزعم ممارسة الاستمناء لدفع الفتنة عن نفسه لئلا يقع في الحرام ، والاستمناء نفسه من الحرام الذي ينبغي أن يعف نفسه عنه ، وهل تكرار الاستمناء والتلذذ به وتعاطي أسبابه من النظر بشهوة للعورات ، وسماع الموسيقى والغناء ، لا دور له في إذكاء نار الشهوة ، وزيادة الافتتان ، ثم يسعى المرء بعدها أن يطفئ شهوته بمعصية الاستمناء .

ومن التلبيس الشيطاني أيضًا أن يزين للشاب أن يقرر أن يعاقب نفسه عقوبة شديدة يراها رادعة كلما وقع في الاستمناء ، ومع تكرار السقوط وتكرار العقوبة ، ييأس من نفسه ، ويسأم تكرار العقوبة ، ويعاوده الفشل ، والواجب على الشاب أن ينظر في وسائل المعالجة لتلك العادة فينتقي منها ما يناسب حاله وظروفه ويستعين بالله ويجاهد نفسه حتى يخلصها مما ابتلاه الله به ، والله المستعان . أما تحميل النفس ما لا تقوى عليه فيجعلها عرضة للفشل ، وتكرار الفشل قد يوقع في اليأس ، فارفق بنفسك في غير تفريط .

ومن التلبيس الشيطاني أيضًا أن يستصغر المرء المعصية ، بدعوى أنها من الصغائر ، ولا صغيرة مع إصرار ، والجبال أنها هي من حصى صغير ، والذنوب إذا

اجتمعت أهلكت ، والمؤمن الحق ينظر إلى عظمة ربه قبل أن ينظر إلى صغر ذنبه ، فالغافل يرتكب المعصية ولا يأبه بها كذبابة يهشها عن وجهه ، والراغب في الآخرة يتهيب المعصية وإن دقت ويراها كجبل يهوي عليه فيهلكه [1] .

وفي الشرارة ضعفٌ وهي مؤلمة ‍ ‍ ‍ وربما أضرمت نارًا على بلد

ومن التلبيس الشيطاني تسويف التوبة وتطويل الأمل ، وزعم أن حياة الشباب لا بد أن ترتبط بالمعاصي والتعرف عليها على وجه التجربة :

يا من يعد غدًا لتوبته ‍ ‍ ‍ أعلى يقين من بلوغ غد ؟
أيام عمرك كلها عدد ‍ ‍ ‍ ولعل يومك آخر العدد

وكل هذه التلبيسات وغيرها يتفطن لها المرء بمراجعة نفسه وطول التأمل والتفكر في حالها .

ومن الأمور المؤسفة أن كثيرًا من الأطباء والكُتَّاب في المجلات والصحف إذا سئلوا عن هذه العادة من الشباب المتحير لا يصرحون بحرمتها شرعًا ويكتفون بالإشارة إلى أن الإفراط فيها ضار ... والشباب لا يدري كيفية تحديد هذا الإفراط ... ويتحججون بهذا الكلام على أن الممارسة القليلة لها لا تضر .. فيفتحون لأنفسهم الباب لهذه الممارسة (القليلة) فتتحول إلى عادة وإطلاق العنان لتحصيل اللذة ، لذا ينبغي اللجؤ إلى العلماء أصحاب العلم الشرعي ، وإلى المربين العارفين بواقع الشباب وهمومهم .

---

(١) وفي الحديث المرفوع : « إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ » [رواه أحمد (٢٢٣٠٢) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٧١)] .

ومن أعظم بدايات التأمل للمشكلة التعرف على حكمها شرعًا ، والإطلاع على أضرارها ، وكلام العلماء فيها ، وما ذكر في وسائل علاجها ، فالاستفادة بفكر وعلم السابقين يكسبنا خبراتهم وييسر علينا علاج مشاكلنا [1] .

---

(١) أورد ابن القيم - على سبيل المثال - حوالي خمسين أمرًا تعين على التخلص من الهوى والمعصية في كتابه القيم (روضة المحبين) فلتراجع ، وقد ذكر فيها : ملاحظة حسن عاقبة ترك المعصية وشقاء التردي فيها ، وملاحظة ما في إيثار العفة والفضيلة من إبقاء منزلة العبد عند ربه بطاعته له ، ومنها الفرحة بغلبة الشيطان وقهره ، ومنها التفكر في أن الإنسان لم يخلق للهوى ولكن للطاعة ، وهي غاية لا تنال بالمعصية ، ومنها التفكر في عواقب فوات الفضيلة وما يكون من الندم بعد قضاء الغرض وبقاء وزره ، ومنها أن يتصور ذلك في غيره ثم يحكم عليه ثم ينزل نفسه مكان ليعرف خطر ما يقدم عليه ، ومنها أن يوازن بين نيل لذة زائلة تنزل من قدره وبين تركها فيسلم بذلك دينه .

وفي كتابه القيم (مدارج السالكين) ذكر ابن القيم مقامات عديدة للسالك في طريق العبودية جدير بالمرء أن يتأمل فيها ويعمل بمقتضاها ويتدرج في الامتثال بها ، فمن ذلك :

١ - مقام إجلال الله تعالى : بالتفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وعلو مقامه وما ينبغي على العبد في التعامل مع الله بمقتضى ذلك من الخشية والخوف والرهبة من الله تعالى .

٢ - مقام محبة الله تعالى : بمشاهدة نعمه التي لا تحصى على العبد ، بما يوجب طاعته تعالى شكرًا له عليها ، فأفضل الطاعة طاعة المحبين ، لما فيها من مقابلة النعم بالشكر والعرفان وحسن العبادة .

٣ - مقام المجاهدة : بمجاهدة النفس في الصبر على أداء الطاعات ، والصبر على تجنب المحرمات والصبر على الابتلاءات .

٤ - استحضار مشهد غضب الله تعالى وانتقامه من المعاندين والمخالفين .

٥ - استحضار مشهد فوات الإيمان باقتراف المعاصي والبعد عن رحمة الله تعالى .

٦ - استحضار مشهد تحقيق الله تعالى لوعده بالثواب في الآخرة لمن ترك المحرمات في الدنيا .

٧ - استحضار مشهد رؤية الله تعالى للعبد وإطلاعه عليه ، فهو معنا أينما كنا ، ويرانا من حيث لا نراه .

وغير ذلك من المقامات واستحضار المشاهد بالقلب فيكف بها العبد نفسه عن المحرمات ويدفعها بها دفعًا إلى الطاعات ، وهذا باب هام في تربية النفس وإصلاحها وتهذيبها .

(١٥) المشاركة في الدعوة إلى الله تعالى والعمل الجماعي :

« وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » (١) ، وكمال العبودية لله تعالى في الدعوة إلى دينه ، والصبر على ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [سورة العصر] .

وفي الحديث المرفوع : « فَوَاللهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ » (٢) .

إن الدعوة إلى الله تعالى عمل جليل يستغرق الوقت الطويل ويستلزم الجهد الكبير ، ويجعل المشارك فيه يستشعر أنه صاحب دعوة ورسالة تحتاج لبذل الكثير ، فينأى بنفسه عن التفاهات والسفاهات وتتحول حياته إلى حياة جادة مفيدة نافعة ، إن العمل الجماعي ميادينه كثيرة يمكن أن يتخير الشاب منها ما يوافقه ويشارك فيها بما يستطيع فيجد فيها شغله الشاغل ويكتسب في ذلك خبرات طيبة ويرضي به ربه ويعالج به أمراضه النفسية والاجتماعية .

(١٦) زيارة المرضى وزيارة القبور :

من المآخذ على الشباب عامة والمنساق للشهوات خاصة أنه يغتر بصحته وموفور نشاطه وطاقته ، فبدلًا من أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة ، ويقدرها حق قدرها ببذلها فيما يحبه الله تعالى ويرضاه ، نجده ينصرف إلى الشهوات والملذات ، بما يعود عليه بالضرر في دينه وبدنه ، وهو يسرف في ذلك غاية الإسراف ،

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩) ، وأبو داود (٤٩٤٦) ، والترمذي (٢٩٤٥) ، وابن ماجة (٢٢٥) ، وأحمد (٢٧٣٧٩) .

(٢) رواه البخاري (٢٩٤٢) ، ومسلم (٢٤٠٦) ، وأبو داود (٣٦٦١) ، وأحمد (٢٢٣١٤) .

حتى يكاد يهلك نفسه ، ويغره أن أقوى مراحل العمر مرحلة الشباب ، حتى إذا سقط فريسة للآلام والأسقام تندم غاية الندم ، وأنى له الندم ، والمخرج من هذا الغرور تذكر نعمة الله تعالى ، وتعلم كيفية شكرها حق الشكر ، وأعظم ما يعين على ذلك زيارة المرضى التي تجعل الإنسان يدرك حقيقة نعمة الله عليه بموفور الصحة ، وهو يرى مَنْ حوله ممن يسقطون تحت وطئة المرض وشدته ويندمون على أوقات الصحة والعافية ، وكذلك زيارة المقابر التي تذكر الإنسان بمآله ونهايته المنتظرة طال به العمر أم قصر ، دامت له الصحة أو لم تدم [1] ، فما أشبه الإنسان بزرع إذا اكتمل نموه حصد ، وإن ترك بلا حصاد إما تتلفه آفة ، أو يذبل وييبس ويزول ، ولا شك أن لهذه المعاني أثرها في نفس كل إنسان التي إن تأملها بحق ساعدته على إصلاح نفسه غاية الإصلاح .

(١٧) التفكر في ثواب الآخرة وحور الجنة :

فإن الله تعالى يثيب من عفَّ نفسه عن الحرام ، وحفظ فرجه من الفواحش والرذائل ، وغض بصره عما لا يحل له ، بزيادة متعته في الآخرة بالحور العين ، فيكون له

---

(١) يقول الشاعر :

وما الناس إلا هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

ولآخر :

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى ... ولم تر في الباقين ما يصنع الدهر

وقال الشاعر :

قف بالمقابر وانظر إن وقفت بها ... لله درك ماذا تستر الحفر

ففيهم لك يا مغرور موعظةٌ ... وفيهم لك يا مغتر معتبر

ولآخر :

تروعنا الجنائز مقبلات ... فنلهوا حين تذهب مدبرات

كروعة ثلة لمغار ذئب ... فلما غاب عادت راتعات

منها زوجات ، وتعطي له قوة على ذلك ، فلا يضيع المرء ذلك لشهوات ونزوات عابرة لا تدوم ، ويبقى بعدها الندم عليها ، وانتظار العقوبة بسببها .

ولينظر الشاب في وصف الجنة ونعيمها ، وصفات الحور العين وأحوالها ، فهن الجميلات دائمات الجمال لا يذبل جمالهن أبدًا ، مهما طالت السنين ، وليس لهن ما لنساء الدنيا من الحيض والنفاس والعرق والبصاق والفضلات وغير ذلك ، بالإضافة إلى كونهن لا يعرفن في الجنة إلا أزواجهن لا يرفعن أطرافهن لغيرهم أبدًا ، والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية العديدة في وصف الجنة ونسائها فيها التسلية والتهوين على كل شاب يطلب العفة في الدنيا ويعمل لثواب الله تعالى في الآخرة ، فهي بحق خير زاد له .

وفي مقابل ذلك تذكر حقارة الدنيا ، وسرعة زوال متعها ، وقرب فنائها ، وكيف لو أدركه الموت وهو على معصيته تلك أو بعدها ولم يتب منها : « وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ » [1] ، والموت يأتي بغتة .

أفي كل يوم صاحب وحبيب	يموت وفي بطن التراب يغيب
تقول لي الدنيا إذا ما سألتها	هو الموت من كل الأنام قريب
وتخدعنا آمالنا في حياتنا	وهذا لعمري في الحياة غريب
تكر علينا النائبات بصرفها	وصرف الليالي في الأنام عجيب

(١٨) ألا يجهر بالمعصية ويستر نفسه :

فالجهر بالمعصية معصية أخرى ، والفرح بالمعصية والبشر بتحصيلها مذموم ،

---

(١) رواه البخاري (٦٦٠٧) ، وأحمد (٢٢٣٢٨) .

وإظهار المعصية للناس بلا حياء ولا مواربة سيئة أخرى ، لهذا قيل في الصغائر أنها تتحول كبيرة إن صاحبتها هذه الأمور من الجهر بها والفرح بتحصيلها وبأدائها أمام الناس علانية ، ويحولها أيضًا إلى كبيرة الإصرار عليها والإكثار منها ، وكذلك صدورها ممن يقتدي به بين الناس ، وللأسف فكثير ممن يمارسون العادة السرية السيئة يجهرون ـ وقد سترهم الله ـ بالإخبار عن اقترافهم لها ، وهذا من شؤم الغفلة والمعاصي على القلوب والعقول ، ولو ستر نفسه مع ستر الله تعالى له لبقيت له إمكانية المغفرة في الآخرة [1] ولخف إثمه ولبقي حاله مستورًا مع المستورين من الناس ، وهي أمور تشجع على التوبة ذات يوم ، ومع التوبة يزول الإثم ويبقى نقاء الرسم والصورة بستر الله تعالى له في الدنيا وبستره لنفسه فيما سبق ، أما مع الجهر ـ وإن تاب ـ فقد انتقص نفسه في الدنيا بين الخلائق رغم رفع الإثم عنه بالتوبة .

يا غاديًا في غفلة ورائحًا ... إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم لا تخاف موقفًا ... يستنطق الله به الجوارحا
يا عجبًا منك وكنت مبصرًا ... كيف تجتنب الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرأ في غد ... صحيفة قد ملئت فضائحا
أم كيف ترضى أن تكون خاسرا ... يوم يفوز من كان رابحا

وبعد :

فهذا جهد أعد على عجل ، أتمنى أن أكون قد ساهمت به مساهمة مقبولة ، وأنا أعلم كم أن أمر التخلص من تلك العادة ليس باليسير ، ولكن الشاب المسلم لا بد أن

(١) فلعل الله تعالى برحمته يستره في الآخرة كما ستره في الدنيا .

يكون صاحب إرادة وعزيمة وإصرار ، ولا ييأس من فضل الله تعالى وتوفيقه ، فإن اليأس من رحمة الله أسوأ من ممارسة هذه العادة السيئة وغيرها من الذنوب ، ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر : ٥٦].

إلهي لا تعذبني فإني ... مقر بالذي كان مني
وما لي حيلة إلا رجائي ... وعفوك إن عفوت وحسن ظني
فكم من زلة لي في البرايا ... وأنت عليَّ ذو فضل ومنِّ
إذا فكرت في ندمي عليها ... عضضت أناملي وقرعت سني
يظن الناس بي خيرًا وإني ... لشرُّ الناس إن لم تعف عني
أُجن بزهرة الدنيا جنونًا ... وأفني العمر فيها بالتمني
وبين يدي محتبس ثقيلٌ ... كأني قد دُعيتُ له كأني
ولو أني صدقتُ الله فيها ... قلبتُ لأهلها ظهر المجنِّ

***

ما أحلم الله عني حيث أمهلني
وقد تماديتُ في ذنبي ويسترني
أنا الذي أغلق الأبواب مجتهدًا
على المعاصي وعين الله تنظرني
يا زلة كُتبتْ في غفلة ذهبت
يا حسرة بقيت في القلب تقتلني

***

ونختم الكلام بأن نذكر أنفسنا أن الدنيا دار ابتلاء ، وبعد الموت الجزاء :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت بانيها

فإن بناها بخير طاب مسكنها وإن بناها بشر خاب بانيها

***

فرض على الناس أن يتوبوا لكن ترك الذنوب أوجب

والصبر في النائبات صعب لكن فوات الثواب أصعب

والدهر في صرفه عجيب لكن غفلة الناس أعجب

وكل ما قد يجئ قريب والموت من ذلك أقرب

***

الموت باب وكل الناس داخله يا ليت شعري : بعد الباب ما الدار ؟

الدار دار نعيم إن عملت بما يرضى الإله وإن خالفت فالنار

هما محلان ما للمرء غيرهما فاختر لنفسك أي الدار تختار

***

قد مضى في اللهو عمري وتناه فيه أمري

ويح قلبي من تناسيه مقامي يوم حشري

واشتغالي عن خطايا أثقلت والله ظهري

واحسرتي واشقوتي من نشر كتابيه

واطول حزني إن أكن أوتيته بشماليه

وإذا سئلت عن الخطا ماذا يكون جوابيه

ولـدتك أمـك يا ابن آدم بـاكيًا والناس حولك يضحكون سرورًا
فاحفظ لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضـاحكًا مـسرورا

* * *

اعمـل وأنت من الدنيـا على حذر واعلم بأنك بعد المـوت مـبعوث
اعلـم بأنك ما قـدمت من عمل محصى عليك وما خـلفت مورث

* * *

إذا طالبتك النـفس يومًا بشهوة وكـان عـليهـا للخـلاف طـريق
فخـالف هواها ما استطـعت فإنما هواك عـدو والخلاف صديق

سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك وأتوبَ إليك ...

وصلِّ اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

مصادر ومراجع

_ أحكام القرآن : ابن العربي .
_ تفسير ابن كثير .
_ تفسير القرطبي .
_ تفسير الآلوسي .
_ تفسير البغوي .
_ تفسير النسفي .
_ لسان العرب : ابن منظور .
_ الأم للشافعي .
_ فتح الباري : ابن حجر .
_ رياض الصالحين : النووي .
_ شرح النووي لمسلم .
_ فقه السنة : السيد سابق .
_ تمام المنة في التعليق على فقه السنة : الألباني .
_ آداب الزفاف : الألباني .
_ ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزياداته : الألباني .
_ تحفة العروس : محمود مهدي استانبولي .
_ جامع العلوم والحكم : ابن رجب الحنبلي .
_ نيل الأوطار : للشوكاني .

_ بلوغ المنى في حكم الاستمنى : الشوكاني .
_ سبل السلام : الصنعاني .
_ تحفة الشاب الرباني في الرد على الإمام الشوكاني (أو إعلام الأمة الإسلامية بخطورة العادة السرية) تأليف : مقبل بن هادي الوادعي .
_ المسائل الماردينية : ابن تيمية .
_ رسالة (حقيقة الصيام) : ابن تيمية .
_ بدائع الفوائد : ابن القيم .
_ مدارج السالكين : ابن القيم .
_ روضة المحبين : ابن القيم .
_ التربية على منهج أهل السنة والجماعة : أحمد فريد .
_ الحجاب : المودودي .
_ تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين : جمال الدين القاسمي .
_ تربية الأولاد في الإسلام : عبد الله ناصح علوان .
_ منهج التربية النبوية للطفل : محمد نور سويد .
_ عمل المرأة في الميزان : د . محمد على البار .
_ المراهقون : د . عبد العزيز محمد النغيمشي .
_ المرؤة وخوارمها : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان .
_ النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة : محمد إسماعيل .
_ أصول المعاشرة الزوجية : القاضي محمد أحمد كنعان .
_ المدخل السهل فيما يتعلق بموجبات الغسل : أحمد بن حسن المعلم .

- السهم المسموم : أحمد بن عبد الرحمن الجهيمي .
- العادة السيئة : محمد صالح المنجد .
- كيف تواجه الشهوات وتقضي على العادة السرية : حسن زكريا فليفل .
- ضرورة الفصل بين الجنسين وكيفيته : حسن زكريا فليفل .
- القواعد الجليلة للتخلص من العادة السيئة : محمد حسين يعقوب .
- الشهوة بين الطب والدين : أبو ياسر مجدي أحمد سلام .
- سري وعاجل للرجال فقط : د . أيمن الحسيني .
- الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء أو العادة السرية من الناحيتين الدينية والصحية : للصوفي أبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الحسني الإدريسي .
- الاستمناء (شريط مسجل) : محمد حسين يعقوب .

***

فهرس

